Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA

No. ..... : الرقم Date ..... : التاريخ

٤١٠٥

ف ٣/٨٦٥

٦ر٣ر٢١

ش (شرح كتاب في الحديث) ،لم يعلم الشارح . بخط
سعد بن محمد بن حمد بن هدلق سنة ١٣٤١هـ.

٥٧ ق مسطرته مختلفة ٢٤×٥ر١٨سم

٤١٠٥ نسخة حسنة ، خطها نسخ مقروء ، ناقصة الأول .

١ـ الأحاديث السنية الأخرى أ ـ الناسـخ

ب ـ تاريخ النسخ .

٤١٠٥
جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

وطلع قال وقوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون الآية روى الامام احمد و
الترمذي وحسنه وابن جرير وابن ابي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه و
تجعلون رزقكم انكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا وهذا
اولى ما فسرت به الآية وروى ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء
الخراساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف
رحمه الله بالآية قال ابن القيم رحمه الله اي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم
التكذيب به يعني القرآن قال الحسن وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن انكم
تكذبون قال وحسر عبد لا يكون حظه من القرآن الا التكذيب قوله
عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم
والنياحة وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران
ودرع من جرب رواه مسلم ابو مالك اسمه الحارث بن الحارث الشامي صحابي تفرد
عنه برواية ابو سلام وفي الصحابة ابو مالك الاشعري اثنان غير هذا قوله اربع
في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن استفعلها هذه الامة اما مع العمل بتحريمها او
مع الجهل بذلك مع كونها من اعمال الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة والمراد بالجاهلية
هنا ما قبل المبعث سموا بذلك لفرط جهلهم وكل ما في الفعل ما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم فهو جاهلية فقد خالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من امورهم او اكثرها و
ذكر بدل ترك تدبر القرآن ومعرفة السنة والشيخان رحمهما الله مصنفا لطيفا ذكر فيه
ما خالف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجاهلية فبلغ مائة وعشرين مسألة قال
شيخ الاسلام رحمه الله وهذا اخبار ان بعض امر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذم الله ولم يتركه
وهذا يقتضي ان كل ما كان من امر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الاسلام والام
يكن في اضافة هذه المنكرات الى الجاهلية دم لها ومعلوم ان اضافتها الى الجاهلية خرج
مخرج الذم وهذا كقوله لنفاة ولا يزال فيكم بقية من امر الجاهلية الاولى فاذا في ذكر ذم الشيء
وذم الحال الجاهلية الاولى وذكر يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة قوله والفخر
بالاحساب هو التعاظم على الناس بآبائهم وذكر جهل عظيم اذ لا كرم الا بالتقوى
كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى

الامر آمر وعلا صالحا الآية وفي ابي داود عن ابي هريرة مرفوعا ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية
وفخرها يا لا با انما هو مؤمن تقي او فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ليدعن
رجال فخرهم بقوم انما هم فحم من فحم جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان قوله و
الطعن في الانساب اي الوقوع فيها بالعيب والنقص ولما عيره ابو ذر رضي الله عنه رجلا
بامه قال النبي صلى الله عليه وسلم اعيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية فدل على ان الطعن في
الانساب من عمل الجاهلية وان المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية
وهي دينية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ونفسقه قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى قوله
والاستسقاء بالنجوم اي نسبة المطر الى النوء وهو سقوط النجم كما اخرج الامام احمد وابو
داود عن جابر الصنابحي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لخاف على امتي ثلاث
استسقاء بالنجوم وحيف السلطان وتكذيبا بالقدر اذا قال قائلهم مطرنا بنجم
كذا او بنوء كذا فلا يخلو اما ان يعتقد ان لذلك النجم تاثيرا في انزال المطر فهذا شرك وكفر
وهو الذي يعتقده اهل الجاهلية بما عتقادهم ان دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعا
او يدفع عنهم ضرا او انهم يشفع بدعائهم اياه فهذا هو الشرك الذي بعث الرسول
صلى الله عليه وسلم بالنهي عنه وقتال من فعله كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله والفتنة الشرك وامان يقول مطرنا بنوء كذا فمثله الكذب مع اعتقاده
ان المؤثر هو الله وحده لكنه اجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم والصحيح
انه يحرم نسبة ذلك الى النجم ولو عاطريق المجاز فقد صرح به المنقح في الفروع بانه يحرم
قول مطرنا بنوء كذا وجزم في الاقناع بتحريمه وعاطريق المجاز ولم يذكر خلافا وذلك
ان القادر لذكر نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره الى مخلوق مسخر
لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له فيكون ذكره شركا اصغر والله اعلم قوله والنياحة
اي رفع الصوت بالندب على الميت لانها تسخط الرب بقضاء الله وذكر بناء على الصبر الواجب
وهي من اكبر الكبائر الوعيد والعقوبة قوله التائحة اذا لم تتب قبل موتها فيه تنبيه على ان التوبة
تكفر الذنب وان عظم هذا مجمع عليه في الجملة وتكفر ايضا الحسنات الماحية والمصائب في الدنيا
المسلكي بعضهم لبعض وبالشفاعة باذن الله وعفو الله عن من شاء ممن لا يشرك به شيئا
وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعا ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه احمد والترمذي
وابن ماجة وابن حبان قوله تقام يوم القيمة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب قال

القرطبي السربال واحد السرابيل وهي القمص يعني انها تطلى بالقطران فيكون
لها كالقمص حتى يكون اشتعال النار باجسادهم اعظم وللكثرة انتنة والمها بسبب الجرب
الشديد وروى عن ابن عباس ان القطران هو النحاس المذاب قال وعن زيد بن خالد
قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف
اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن
بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء
كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين
وقيل غير ذلك وله خمس وثمانون سنة قوله صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بنا فاللام بمعنى الباء قال
الحافظ وفيه طلاق ذكر مجازا وانما الصلاة لله قوله بالحديبية بالتخفيف وتشدد الياء وتثقل
قوله على اثر سماء كانت من الليل بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور وهو بمعنى عقب الشيء
قوله سماء اي مطر لانه ينزل من السحاب والسماء يطلق على كل ما ارتفع قوله فلما انصرف اي
من صلاته اي التفت الى المأمومين كما يدل عليه قوله اقبل على الناس ويحتمل انه اراد السلام
هل تدرون لفظ استفهام ومعناه التنبيه وفي النسائي الم تسمعوا ما قال ربكم الليلة وهذا
من الاحاديث القدسية وفيه الحث على العلم على اصحابه المسلم ليخبرهم قوله قالوا الله ورسوله
اعلم فيه حسن الادب للمسؤول اذا سئل عما لا يعلم ان يكل العلم الى عالميه وذكر يجب قوله اصبح من
عبادي الاضافة هنا للعموم بدليل التقسيم الآتي وكافر كقوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مؤمن قوله مؤمن بي وكافر اذا اعتقد ان للنوء تاثيرا في انزال المطر فهذا كفر لانه شرك في الربوبية
والمشرك كافر وان لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الاصغر لانه نسب نعمة الله لغيره ولان الله لم
يجعل النوء سببا لانزال المطر فيه وانما هو من فضل الله ورحمته بعباده اذا شاء وبقدره اذا شاء
ودل هذا الحديث على انه لا يجوز لاحد ان يضيف افعال الله لغيره ولو على سبيل المجاز وايضا الباء
تحتمل معان وكلها لا تصدق بهذا اللفظ فليست للسببية ولا للاستعانة لما عرفت ان هذا باطل ولا
تصدق ايضا لانها للمصاحبة لان المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء وانما يجيء للمطر في الوقت
الذي اراد الله مجيئه فيه برحمته وحكمته وفضله فتعين معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فقصد
فيظهر على هذا تحريم هذه اللفظة مطلقا لفساد المعنى وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب الفروع
والانصاف قال المصنف عفا الله وفيه التفطن للايهام في هذا الموضع يشير الى انه الاخلاص
قوله فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته الخ وصفناه به ومذهب اهل السنة والجماعة

ان ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات كالحياة والعلم وصفات
الافعال كالرحمة التي يرحم بها عباده كلها صفات قائمة بذاته ليست قائمة بغيره فتفطن
لهذا فقد غلط فيه طوائف **وفي** الحديث ان النبي صلى الله لا يجوز ان تضاف الا الله وحده و
هو الذي عمد عليها وحده وهذه حال اهل التوحيد **قوله** واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا
الخ تقسيم صا تتعلق بذلك **قال المصنف** رحمه الله وفيه النفطن للكفر في هذا
الموضع يشير الى ان نسبة النعم الى غير الله كفر ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه وانه لم يعتد
تاثير النوء بنزال المطر فيكون من كفر النعم لعدم نسبتها الى الذي انعم بها ونسبتها الى غيره
كما سيجيء في قوله تعالى يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها قال القرطبي في شرح حديث زيد
ابن خالد وكانت العرب اذا طلع نجم من المشرق وسقط آخر من المغرب فجديء عند
ذلك مطر او ريح فمنهم من ينسبه الى الطالع ومنهم من ينسبه الى الغارب نسبة ايجاد
واختراع ويطلقون ذكر القول المذكور في الحديث فنهى الشارع عن اطلاق ذكر ذلك
لعقد احد اعتقادهم ولا ينسبه بهم في نطقهم انتهى **قول** فمنهم من ينسبه نسبة ايجاد يدل
على ان بعضهم لا يعتقد ذلك خالقا ولذلك شائهم من نزل في القرآن بحلف فاحبابه الارض بعد
موتها الآية فدل على ان فيهم من يعرف ويقر بان الله هو الذي انزل المطر وقد يعتقد هؤلاء
ان للنوء فيه شائبة التاثير والقرطبي في شرحه لم يصرح ان العرب كلهم يعتقدون ذلك
المعتقد الذي ذكره فلا اعتراض عليه لاحتمال المذكور **قول** وفي حديث ابن عباس
بمعناه وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فانزل الله هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم
الى قوله تكذبون وبلفظ عوف عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد
صدق نوء كذا وكذا فانزل الله فلا اقسم بمواقع النجوم هذا قسم انه لقرآن كريم فلكون لا صلة لتاكيد النفي فتفد
عائشة رضي الله عنها ما نآء وجواب القسم انه لقرآن كريم فلكون لا صلة لتاكيد النفي فتفد
بر الكلام ليس الامر كما زعمتم في القرآن انه سحر او كهانة بل هو قرآن كريم قال ابن جرير
قال بعض اهل العربية معنى قول فلا اقسم فليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم بعد
فقيل اقسم بمواقع النجوم قال ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من
السماء العليا الى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا في السنين بعدهم قرأ ابن عباس هذه الآية وهو افقها
نزولها شيئا بعد شيء قال مجاهد مواقع النجوم مطالعها ومشارقها واختار هذا ابن جرير

وعلى هذا

وعلى هذا فتكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن من وجوه **احدها** ان
النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات
الغي والجهل فتكون هداية في الظلمات الحسية والقرآن هداية في الظلمات المعنوية فجمع بين
الهداية مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة وفي القرآن من الزينة الباطنة ومع ما في النجوم
من الرجوم للشياطين وفي القرآن من رجوم شياطين الجن والانس والنجوم آيات للمشهود
العيانية والقرآن آياته المتلوة المسموعة مع ما في مواقعها عند الغروب من الدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول وصرح بالقسم اعظم وابلغ و
لو تعلمون عظيم **قال** كثير وان هذا القسم الذي اقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته
لعظمة المقسم به عليه **قول** انه لقرآن كريم هذا هو المقسم عليه وهو القرآن اي انه وحي الله
وكلامه لا كما يقول الكفار انه سحر او كهانة او شعر بل هو قرآن كريم اي عظيم كثير الخير
لانه كلام الله **قال ابن القيم** رحمه الله تعالى فوصفه بما يقتضي حسنه وكثرة خيره
ومنافعه وجلالته فان الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو كل شيء احسنه و
افضله والله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف
به ما ذكر ونوعه وحسر عظيم في النبات وغيره وبذلك فسر السلف الكريم بالحسن **قال**
الاخفش الكريم اسم جامع لما يحمد والله تعالى كريم جميل الفعال وانه لقرآن كريم يحكم ما فيه
من الهدى والبيان والعلم والحكمة **قوله** في كتاب مكنون اي في كتاب معظم محفوظ فوقه
قال كثير وقال **ابن القيم** رحمه الله تعالى اختلف المفسرون في هذا فقيل هو اللوح
المحفوظ والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة وهو المذكور في قوله في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة ويدل على انه الكتاب الذي بايدي الملائكة قوله
لا يمسه الا المطهرون فهذا يدل على انه بايديهم يمسونه **قول** لا يمسه الا المطهرون **قال** ابن
عباس رضي الله عنهما لا يمسه الا المطهرون **قال** الكتاب الذي في السماء وفي رواية لا يمس الا المطهرون
يعني الملائكة وقال قتادة لا يمسه عند الله الا المطهرون فاما في الدنيا فانه يمسه المجوسي النجس
والمنافق الرجس واختار هذا القول كثيرون منهم ابن القيم رحمه الله تعالى ورجحه وقال
اي زيد عمت قريش ان هذا القرآن تنزلت به الشياطين فاخبر الله تعالى انه لا يمسه الا
المطهرون كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين الى قوله انهم عن السمع لمعزولون **قال** ابن كثير هذا
قول جيد وهو لا يخرج عن القول قبله **وقال** البخاري رحمه الله تعالى صحيح في هذه الآية لا

يجد طعم الايمان به قال ابن القيم رحمه الله هذا من اشارة الآية وتنبيهها وهو ان الله
يلتذ به ويفرح آنه وفهمه ونوره الايمان يشهد به انه كلام الله تكلم به حقا وانزله على رسوله
وحالا ينال معانيه الا محل بكر في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه وقال آخرون الايمان
الا الطهور في الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناه الطلب فالمراد بالمراد
هاهنا الصحف واحتجوا باخذ ذلك بما رواه مالك في الموطأ عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم انه لا يمس القرآن
الا طاهر وقول تنزيل من رب العالمين قال جل ثناؤه هذا القرآن منزل من الله رب العالمين
وليس كما تقولون انه سحر وكهانة او شعر هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق
نافع وفي هذه الآية انه كلام الله تكلم به قال ابن القيم رحمه الله ونظير هذا من حق العقل
من وقع قل نزله روح القدس من ربك بالحق هو اثبات علو الله تعالى على خلقه فان
النزول والتنزيل الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من اعلى الى
اسفل ولا يرد عليه قولهم انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج لانا نقول ان الذي
انزلها فوق سمواته فانزلها الينا منه قال ابن القيم رحمه الله وذكر التنزيل مضافا
الى رب بينة للعالمين المستلزمة لملكه لهم وتصرفه فيهم وحكمه عليهم واحسانه اليهم
وانعامه عليهم وانه هو الذي انزل عليهم هذا الكتاب الذي به صلاح دنياهم وآخرتهم
سدى ويدعهم هملا وخلقهم عبثا بل خلقهم لامر وهو حكمته بهم ولا بشيء منهم ولا بما قبلهم فمن
اقرب ما نعرف رب العالمين اقرار بان القرآن تنزيله على رسوله واستدل بكونه رب العالمين
على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به وهذا الاستدلال اقوى واشرف من
الاستدلال بالمعجزات والخوارق وان كانت دلالتها اقرب الى اذهان عموم الناس
وتكلم العلماء على خواص العقلاء قوله ايها الحديث انتم مدهنون قال مجاهد
تريدون ان تمالوهم فيوكلوا اليهم قال ابن القيم رحمه الله تعالى ومنهم عاد
وضعهم الادهان في غير موضعها وانه يدهن فلم حقه ان يصدع به ويعرفه به ويعض عليه
بالنواجذ ويحثى عليه الحواصر وتعقد عليه الطنب والافيد ويحارب ويسالم
لاجله ولا يتقوى عنه ولا يسترخ ولا يكون للقلب التفات الى غيره ولا الى ما كان
الا اليه ولا مخاصمة الا به ولا اهتدى في طرق المطالب العالية الا منه ولا
شفاء الا به فهو روح الوجود وحياة العالم ومدار السعادة وفائدة الفلاح

الخاص

وطريق

وطريق النجاة وسبيل الرشاد ونور البصائر فكيف تطلب المداهنة بما هذا شانه ولم ينزل
للمداهنة وانما نزل بالحق والحق والمداهنة انما تكون في باطل قوي لا يمكن ازالته او في
حق ضعيف لا يمكن اقامته فيحتاج المداهن الى ان يدر كبعض الحق ويلتزم بعض الباطل فاما
الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به قوله ويجعلون رزقكم انكم تكذبون تقدم الكلام عليها
اول الباب والله سبحانه وتعالى اعلم قوله باب قول الله تعالى ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله الآية لما كانت محبته سبحانه هي اصل دين الاسلام الذي
بدور عليه قطب رحاه فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص توحيد الانسان قوله باب قول الله
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية قال في شرح المنار اخبر سبحانه انه من
من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله اندادا فهو اندادا في المحبة لا في الخلق و
الربوبية فان احدا من اهل الارض لا يثبت هذا الند بخلاف الند المحبة قال وآية اهل الارض
قد اتخذوا من دون الله اندادا في الحب والتعظيم ثم قال تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وفي تقدير
الآية قولان احدهما والذين آمنوا اشد حبا لله من اهل الاندادا لاندادهم واصنامهم التي
يحبونها ويعظمونها من دون الله وروي بن جرير عن مجاهد في قوله يحبونهم كحب الله
مباهاة ومضاهاة للحق بالانداد والذين آمنوا اشد حبا لله من الكفار لاوثانهم ثم
روى عن زيد قال هو آية المشركين اندادهم آلهتهم الثاني والذين آمنوا
اشد حبا لله من المشركين بالانداد لله فان محبة الموحدين خالصة ومحبة اصحاب الانداد
قد ذهبت انداده بقسط منها والمحبة الخالصة اشد من المشتركة والقولان مرتبان على
القولين في قوله تعالى يحبونهم كحب الله فان هذا فيها قولين ايضا احدهما يحبونهم كما يحبون
الله فيكون قد اثبت لهم محبة الله ولكنها محبة اشركوا فيها مع الله تعالى اندادهم والثاني
ان المعنى يحبون اندادهم كما يحب المؤمنون الله ثم بين تعالى ان محبة المؤمنين لله اشد من
محبة اصحاب الانداد لاندادهم وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يرجح القول الاول ويقول
انما دعوا به الى شركهم بين الله وبين اندادهم في المحبة ولم يخلصوها كلها لله كمحبة المؤمنين له وهذه
التسوية المذكورة في قول تعالى حكاية عنهم وهم في النار انهم يقولون لآلهتهم واندادهم وهي
محضرة معهم في العذاب تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم
ما سووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وانما سووهم في المحبة والتعظيم وهذا ايضا

هو العدل المذكور في قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم وقال تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وهذه تسمى آية المحبة قال بعض السلف ادعى قوم محبة
الله فانزل الله تعالى آية المحنة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الشارة الى دليل المحبة وثمرتها
وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفائدتها وثمرتها محبة الله سبحانه فلما لم
تحصر المتابعة فلا محبة له حاصلة ومحبته لكم منتفية وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذ رتب على المؤمنين اخبر عن الكافرين بانه
هدد وتوعد في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وذكر لهم اربع علامات احدها انهم اذلة على
المؤمنين قيل معناه ارقاء رحماء مشفقين عاطفين عليهم فالمضمن اذلة هذا المعنى عداه
بادا على قال عطاء رحمة الله للمؤمنين كالولد للوالد وكالعبد لسيده وقيل الكافر كالاسد
على فريسته اشداء على الكفار رحماء بينهم العلامة الثالثة الجهاد في سبيل الله تعالى
بالنفس واليد والمال واللسان وذكر تحقيق هذه المحبة العلامة الرابعة انهم لا
تأخذهم في الله لومة لائم وهذا علامة صحة المحبة فكل محب يخاف اللوم على محبوبه فليس
بمحب على الحقيقة وقال تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه فذكر للعلماء الثلاثة اخص وهو ابتغاء القربة الله والتوسل
اليه بالاعمال الصالحة ورجاء رحمته وخوف عذابه فدل على ابتغاء الوسيلة امر زائد على رجاء رحمته
وخوف العذاب وهو المطلوب قطعا انه لا يتنافس الا في قرب من يحب قربه ومحبته يتبع
المحبة ذاته بل محبة ذاته اوجبت محبة القرب منه وعند الجهمية والمعتزلة لا مذكر شيء فانه
عندهم لا تقوم ذاته شيء ولا يقوم ذاته شيء ولا يحبه لذاته ولا يحب فاعلا ولا حياة
القلوب ونعيم الارواح وبهجة النفوس وقرة العيون واعلى نعيم الدنيا والآخرة والذكر
ضربت قلوبهم بالفسق وضرب وجوههم وجوه من الله محجوب على معرفته ومحبته فلا يعرفونه
ولا يحبونه ولا يذكرونه الا عند تعطيل اسمائه وصفاته فذكرهم اعظم آلامهم وازعاجهم
بل يعاقبون من يذكره باسمائه وصفاته ونعوت جلاله وبرفعهم بالادواء التي هي احق
بها واهلها وحسبك ذي البصيرة وحياة القلب ما يرى على كل منهم من القسوة لو
الموت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده والله المستعان فقال رحمه الله تعالى
ايضا لا تحد المحبة بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء فحدها وجودها

ولا

مطلب تعريف المحبة

ولا توصف المحبة بوصف اظهر منه المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها
وشواهدها وثمراتها واحكامها واجمع ما قيل في ذكر ما ذكره ابو بكر الكتاني رح عن الجنيد رح
قال ابو بكر جرت عنده في المحبة عكة اعزه الله في ايام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان
الجنيد اصغرهم سنا فقالوا له ايها فلعندك يا عراقي فاطرق راسه ودمعت عيناه ثم قال جمد
ذاهبة نفسه متصلا بذكر ربه قائما بادائه حقوقه ناظرا لله بقلبه محترقا بانوار هيبته وصفا شربه من كاس مودته وانكشف له الحجاب عن استار غيبه فهو تكلم
فبالله وان نطق فعن الله وان تحرك فبامر الله وان سكن فمع الله فهو لله وبالله ومع الله فبكى
الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جزيت يا لله يا تاج العارفين وذكر رحمه الله
اجل الاسباب الجالبة لمحبة الله عشرة احدها قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما اريد به
الثاني التقرب الى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض الثالث دوام ذكره على كل حال
باللسان والقلب والحال فتضمنت المحبة على قدر هذا الرابع ايثار محابه على محابك عند
غلبات الهوى الخامس مطالعة القلب لاسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه
المعرفة وميادينها السادس مطالعة بره واحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة السابع
وهو عجيبها انكسار القلب بين يدي الله تعالى الثامن خلوة وقت النزول الالهي وتلاوة كتابه ثم ختم
ذلك بالاستغفار والتوبة التاسع مجالسة المحبين والصادقين والتقاط طيب
كلامهم ولا تتكلم الا اذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت ان فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك العاشر
مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل فمن هذه الاسباب العشرة وصل المحبون
الى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب وقوله وقول الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الى
قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية عتب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتوعد من احب اهله و
ماله وعشيرته وتجارته ومسكنه فآثرها او بعضها على محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا اي انتظروا واما ذا يحل بكم من عقابه
والانتظار من حديث ابي عبد الرحمن السلمي عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد
سلط الله عليكم ذلا لا ينزع عنكم حتى ترجعوا الى دينكم فلا بد من ايثار ما احبه الله على ما يحبه العبد ويريده فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله ويوالي فيه ويعادي فيه ويتابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في آية المحنة ونظائرها قوله وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطلب تعريف المحبة

قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين اخرجاه شرح البخاري
وسلم قوله لا يؤمن احدكم اي الايمان الواجب والمراد كماله حتى يكون الرسول احب الى العبد من ولده ووالده
والناس اجمعين بل ولا يحصل هذا الكمال الا بان يكون الرسول احب اليه من نفسه كما في حديث ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال والذي
نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك فقال له عمر فانك الآن احب الي من نفسي فقال الآن
يا عمر رواه البخاري فمن قال ان المنفي هو الكمال فان اراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه و
يعرض للعقوبة فقد صدق وان اراد ان المنفي الكمال المستحب فمن لم يقع قط في كلام الله و
رسوله صلى الله عليه وسلم قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فمن ادعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم بدون
متابعته وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى ويقولون آمنا بالله وبالرسول
واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين فنفى الايمان عمن تولى عن
طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن كل مسلم يكون محبا بقدر ما معه من الاسلام وكل مسلم لا بد
ان يكون مؤمنا وان لم يكن مؤمنا الايمان المطلق لان ذلك لا يحصل الا لخواص المؤمنين قال
شيخ الاسلام رحمه الله وعامة الناس اذا اسلموا بعد كفر او ولد واعلم الاسلام والتزموا
شرائعه كان نوع اهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون وصفهم ايمان مجمل لكن دخول حقيقة الا
يمان الى قلوبهم مفصلا شيئا فشيئا وان اعطاهم الله ذلك دفعة الا قليلا من الناس لاصلوا
الى اليقين ولا الى الجهاد ولو شكوا لشكوا ولو امروا بالجهاد لما جاهدوا اذ لم يعلم عندهم
مهو لا الله عز وجل فراغ المحبة وهانوا دخلوا الجنة وان انتهوا ممن يدخل عليهم شبهات
توجب ريبهم فان لم تحل بينهم وبين اليقين بما نزل الله والانصار وما من ثباتها وان تنتقلوا
الى نوع من النفاق انتهى وفي هذا الحديث ان الاعمال من الايمان لان المحبة عمل القلب
وفيه ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة وانها بعض المحبة لله لانه لها فانها محبة لله وبما
جلبه من زيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها وكل من كان محبا لله فانما
يحب في الله وبالله كما يجب الايمان والعمل الصالح وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب
الشرك كالاعتماد عليه وبعض رجائه في حصول امر مرغوب فيه او دفع مرهوب منه وما كان

فيها كما يجب ذكر فمحبة مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة اليه من دون الله فبهذا
يحصل التمييز بين المحبة في الله والاجل التي هي من كمال التوحيد وبين المحبة مع الله التي هي محبة
الاندادمن دون الله لما تتعلق بقلوب المشركين من الالهية التي لا تجوز الا لله وحده
قوله ولهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان
يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار رواه في رواية لا يجد
احد حلاوة الايمان حتى الى آخره تقدم ذكر اي ثلاث خصال قوله من كن فيه وجد من
فيه ناصة قوله وجد بهن حلاوة الايمان الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يجده
بدنه لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه وهي شيء محسوس يجده اهل الايمان في قلوبهم
قال السيوطي في التوشيح وجد حلاوة الايمان فيه استعارة تخييلية شبه رغبة
المؤمن في الايمان بشيء حلو واثبت له لازم ذلك الشيء واضافه اليه وقال النووي
معنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق واثار ذلك على اغراض الدنيا و
محبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن
معاذ حقيقة الحب في الله ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء قوله ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما اي بالسواد ما يجب الانسان بالطبع كمحبة الولد والمال والازواج ونحوها
فيكون احب هنا عاديا وقال الخطابي المراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع انتهى
قال وامحبة الشرعية التي تقدم بيانها فقليلها وكثيرها يناني محبة الله ورسوله
وفي بعض الاحاديث احبوا الله بكل قلوبكم فمن علامات محبة الله ورسوله ان يحب ما يحبه الله
ويكره ما يكرهه الله ويؤثر مرضاته على ما سواه ويسعى في مرضاته ما استطاع ويبعد عن ما
حرمه الله ويكرهه اشد الكراهة ويتابع رسوله ويمتثل اوامره ويترك نواهيه كما قال تعالى من
يطع الرسول فقد اطاع الله فمن آثر امرا غير امره على امره وخالف ما نهى عنه فذلك علامة عدم
محبته لله ورسوله فاه محبة الرسول من لوازم محبة الله فمن احب الله واطاعه احب الرسول واطاعه
ومن لا فلا كما في اية المحنة ونظائرها والله المستعان قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان لانه وجد الحلاوة للشيء
يتبع المحبة له فمن احب شيئا واشتهاه اذا حصل مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور

يذكر واللذة امر حاصل عند ادراك الملائم الذي هو المحبوب والمشتهى قال فحلاوة الايمان هي
المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد لله وذكر ثلاثة امور لتكميل هذه المحبة وتفريعها
ودفع ضدها فتكميلها ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فان محبة الله ورسوله لا يكتفى
فيها باصل الحب بل لا بد ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما **قلت** ومحبة الله
تعالى تستلزم محبة طاعته فانه يحب من عبده ان يطيعه والمحب يحب ما يحبه محبوبه ولا بد
من لوازم محبة الله ايضا محبة اهل طاعته كمحبة انبيائه ورسله والصالحين من عباده
ومحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الايمان كما في حديث ابن عباس الآتي قال وتفريعها ان
يحب المرء لا يحبه الا لله قال ودفع ضدها ان يكره ضد الايمان كما يكره ان يقذف في النار انتهى
قوله احب اليه مما سواهما فيه جمع ضمير الله سبحانه وضمير رسوله صلى الله عليه وسلم وفيه قولان احدهما
انه ثنى الضمير هنا على الاداة المعتبر هو المجموع المركب من المحبين لا كل واحد فانهما وحدهما
لا غية وامرنا بالافراد في حديث الخطيب اشعارا بان كل واحد من العصيانين مستقل بالتزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوف عليه بحكم الكلم
الثاني ان حديث الخطيب على الادب والاولى وهذا على جواز وجواب ثالث وهو
ان هذا ورد على الاصل وحديث الخطيب نادر فيكون ارجح **قوله** كما يكره ان يقذف في النار
اي يستوي عنده الامران وفيه رد على الغلاة الذين يتوهمون ان صدور الذنب من
العبد ينقص حبه مطلقا وان تاب منه **والصواب** انه ان لم يتب كان ناقصا وان
تاب فلا وبهذا كان المهاجرون والانصار رضي الله عنهم افضل من غيرهم لان الله جمع لهم في
الاصل كفاية اهدافهم الى الاسلام والاسلام يجب ما قبله وكذلك الهجرة كما صح الحديث
بذلك **قوله** وفي رواية لا يجد احد هذا الا رواية اخرجها البخاري في الادب بلفظ صحيح ولفظه
لا يجد احد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا لله وحتى ان يقذف في النار احب اليه من
ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه وحتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وقد تقدم ان المحبة هنا عام لما يجد المؤمن من اللذة والحكمة والسرور والاجلال
والهيبة ولوازم ذلك قال الشاعر

اهابك اجلالا ومابك قدرة ... علي ولكن ملء عين حبيبها

قوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من احب في الله وابغض في الله ووالى في الله وعادى في الله

بيان الهجرة

من قوم هود [illegible] عامة مواخاة الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيئا
واشهد [illegible] اخرج ابن ابي شيبة وابن ابي حاتم الجملة الاولى منه فقط **قوله** واحب
هو الواجب على اهل الايمان بالله وطاعته من اطراد ذلك **قوله** وابغض في الله اي ابغض من
ذمه الله واشرك به وفسق عن طاعته لاجل ما فعلوه مما يسخط الله وان كانوا
من الناس اليه كما قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله الآية **قوله** ووالى في الله هذا والذي قبله من لوازم محبة العبد لله تعالى فمن احب الله احب
اولياءه ووالاهم وعادى اهل معصيته وابغضهم وجاهد اعداءه ونصر انصاره
وكلما قويت محبة العبد لله قويت هذه الاعمال المترتبة عليها وكلما نقصت محبة العبد
ونقص ضعفها ما قد ضعف محبة العبد لربه فقد وقع منكر ومحروم **قوله** فانما تنال
ولاية الله بذلك اي تولية لعبد وولاية بفتح الواو اي الاخوة والمحبة والنصرة وبالكسر
الامارة والمراد هنا الاول ولا حمد والطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد العبد صريح الايمان
حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية لله وفي حديث
آخر وتوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله عز وجل رواه الطبراني **قوله** ولن يجد عبد طعم
الايمان الخ اي لا يحصل له ذوق الايمان ولا يكمل وسرور وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون
كذلك اي حتى يحب في الله ويبغض في الله ويعادي في الله ويوالي فيه وفي حديث ابي امامة وفعا
من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود **قوله** وقد صارت
عامة مواخاة الناس على امر الدنيا وذكر لا يجدي على اهله شيئا اي لا ينفعهم يوم القيامة
الاخلاء بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا كانت البلوى قد عمت بهذا في زمن ابن عباس
وخير القرون فما ظنك بما بعد ذلك الا شذ حتى وقعت الموالات على الشرك والبدع والفسوق
والعصيان وقد وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من قوله بدئ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما
بدئ وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والانصار في عهده بينهم صلى الله عليه وسلم وعهد
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما يوثر بعضهم بعضا على نفسه محبة لله وتقربا اليه كما قال تعالى ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقد رئينا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما منا احد احق بدينار ولا درهم من اخيه المسلم رواه ابن ماجه **قوله** وقال
ابن عباس في قوله وتقطعت بهم الاسباب قال المودة هذا الاثر رواه عبد بن حميد وابن
جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه **قوله** قال المودة اي التي كانت في الدنيا فانتهى احوج ما كانوا

الحث على

من قوم هود عليه السلام انهم قالوا ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه الآية وقال تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوهم من الاوثان يخافونها ويخوفون بها اهل التوحيد اذا انكروا عبادتها ودعوا الى اخلاص التوحيد لله وحده هذا ينافي التوحيد الثاني ان يترك الانسان ما يجب عليه خوفا من بعض الناس فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد وهذا هو سبب نزول هذه الآية كما قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الآيات وفي هذا الحديث ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رأيت المنكر الا تغيره فيقول رب جئتك الناس فقول اياي خشيت الناس فيقول اياي احق ان تخشى

الثالث الخوف الطبيعي وهو الخوف من عدو او سبع او غير ذلك فهذا لا اثم فيه كما قال تعالى في قصة موسى فخرج منها خائفا يترقب الآية ومعنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه اي يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافوه وهذا من معاني الآية ويحتمل ان المعنى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوا غير الله ولا تخافوا امرهم الا لقصر واخوفهم على الله فلا تخافون الا اياه وهذا هو الاخلاص الذي امر الله به عباده وهو حظ منه فاذا اخلص لله الخوف وجميع العبادة اعطاكم ما ترجون وامنهم مما تحاذرون في الدنيا والآخرة كما قال تعالى الم يكف عبده ويخوفونك بالذين من دونه الآية قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ومن كيد عدو الله انه يخوف المؤمن من جنده واوليائه ليجاهدهم بموقوفهم عن ذلك واخبر تعالى ان هذا من كيد الشيطان وتخويفه وبهذا ان تخافه قال والمعنى عند جميع المفسرين يخوفكم باوليائه قال قتادة يعظمهم في صدوركم فكلما قوي ايمان العبد زال الخوف من اولياء الشيطان من قلبه وكلما ضعف ايمانه قوي خوفه منهم فدلت هذه الآية على ان اخلاص الخوف من شروط الايمان قوله وقول الله تعالى انما يعمر مساجد من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله الآية اخبر تعالى ان مساجد الله لا يعمرها الا من آمن بالله واليوم الآخر الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم واخلصوا لله الخشية دون من سواه فاثبت لهم عمارة المساجد بعد ان نفاها عن المشركين لان عمارة المساجد بالطاعة والعمل الخالص الصالح والمشرك وان عمل فعمله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا او كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وما كان كذلك فالعدم خير منه فلا تعمر المساجد عامرة الا بالايمان الذي يعظم الله التوحيد مع العمل الصالح الخالص من سوائب الشرك والبدع وكل ذلك داخل في مسمى الايمان المطلق عند اهل السنة والجماعة قوله ولم يخش الا الله قال به عطية يريد خشية التعظيم و

العبادة

الهتا وتبرا بعضهم من بعض كما قال تعالى انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا الآية قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى اذا تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب على الشرك وابتاعهم ادعوا انهم على طريقتهم ومنهاجهم وهم مخالفون لهم سالكون غيرها ويزعمون ان فيهم ما ينفعهم مع مخالفتهم فيتبرأ كل منهم يوم القيمة فانهم اتخذوهم اولياء من دون الله وهذا حال من اتخذ من دون الله وليجة واولياء يوالي لهم ويعادي لهم ويرضى لهم ويغضب لهم فاما اعمال القلوب التي هي اصل الدين كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والانابة والخشية والاخبات والطمأنينة والثقة والرضا والتسليم والتفويض والشكر والصبر والاخلاص والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والمحبة في الله والبغض في الله وذل العبد لربه وخضوعه له وانكسار قلبه بين يديه وخشوعه له وانقياده لامره وايثار ما يحبه على ما تهواه نفسه وغير ذلك من اعمال القلوب التي فرضها الله ورسوله على كل عبد فهذه لا تسقط عن احد بحال من الاحوال ولا يعذر بتركها احد من الخلق بل هي واجبة على كل احد في كل وقت على الكمال الذي يقدر عليه العبد لا يسقط منها شيء البتة بحال من الاحوال ولا يعجز عنها احد من الخلق بل كل احد قادر عليها في كل وقت وهي التي خلق الله الخلق لاجلها وامرهم بها وهي التي خلقت الجنة لاجلها وهي التي خلقت النار لاجلها وهي التي من اجلها ارسل الرسل وانزل الكتب وهي التي من اجلها وجد الدين كله وهي التي من اجلها نصبت القبلة وهي التي من اجلها وجبت الاعمال الظاهرة وهي التي من اجلها وجد الجهاد وهي التي من اجلها وجدت الجنة والنار وهي التي من اجلها قامت القيامة وهي التي من اجلها وجد الحساب والميزان وهي التي من اجلها وجد الصراط وهي التي من اجلها وجدت الشفاعة وهي التي من اجلها وجد الثواب والعقاب وهي التي من اجلها وجد الامر والنهي وهي التي من اجلها وجد الوعد والوعيد وهي التي من اجلها وجد الترغيب والترهيب وهي التي من اجلها وجد الحب في الله والبغض في الله وهي التي من اجلها وجد الولاء في الله والعداوة في الله وهي التي من اجلها وجد الاسلام والايمان والاحسان وهي التي من اجلها وجد الدين كله وهي التي من اجلها وجد الدين كله

باب قول الله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين الآية

الخوف من افضل مقامات الدين واجلها واجمع انواع العبادة التي يحب اخلاص لله تعالى فيها وهو من خصائص الالهية قال تعالى ولهم خشية متقون وقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى واياي فارهبون وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشون واشال هذه الآيات في القرآن كثير والخوف من حيث هو على ثلاثة اقسام احدها خوف السر وهو ان يخاف من غير الله من وثن او طاغوت ان يصيبه بما يكره كما قال تعالى

قوم هود

مكرر

والعبادة والطاعة ولا في الذل ان الانسان ان الانسان تحتى المحاذير الدنيوية وسنعي ان تحتى في ذكر كلمة
قضاء الله وتصريفه وقال ابن القيم رحمه الله تعالى اخوف عبودية القلب فلا يصلح الا لله كالذل
والانابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب قوله فعني اولئك هم المهتدون قال ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول اولئك لهم الهدى وهم وكل عبد في الآية
فهو واجبة وفي الحديث اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان قال الله
تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر رواه احمد والترمذي والحاكم قوله
ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال ابن كثير رحمه الله
تعالى يقول تعالى مخبرا عن قوم يدعون الايمان بألسنتهم ولم يثبت في قلوبهم انهم اذا اجانهم محنة
اعتقدوا انها من نقمة الله بهم فارتدوا عن الاسلام قال ابن عباس رضي الله عنه يعني فتنة
اي ارتد عاد بها اذا اوذي في الله وقال ابن القيم رحمه الله تعالى الناس اذا ارسلت الهم الرسل
بينت امرين اما ان يقول احدهم آمنا واما الا يقول ذلك بل يستمر على الكفر والكفر فمن
قال آمنا امتحن بربه وابتلاه وفتنه والفتنة الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق الكاذب
ومن لم يقل آمنا فلا حسب ان يعجز الله ويفوته ويسبقه فمن آمن بالرسل واطاعهم عاداه لهذا
عهم وآذوه فابتلي بما يؤلمه ومن لم يؤمن بهم فلم يظهم عوقب في الدنيا والآخرة وحصل
له ما يؤلمه وكان كل هذا الالم اعظم واشد من الم اتباعهم فلا بد من حصول الالم لكل نفس آمنت او
كفرت عن الايمان لكن الموعد يحصل له الالم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة
والمعرض عن الايمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير في الالم الدائم والانسان لا بد ان يعيش
مع الناس والناس لهم ارادات وتصورات فمظلوم منهم منه ان يوافقهم عليها وان
لم يوافقهم آذوه وعذبوه وان وافقهم حصل له العذاب تارة فهم وتارة من غيرهم
كما عنه دين وتعلى حل عند قوم فحارب ظلمة وان يتمكنون في فجورهم وظلمهم الا بموافقتهم
له وسكوته عنهم فان وافقهم او سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء ثم يتسلطون عليه
بالاهانة والاذى اضعاف ما كان يخافه ابتداء لو انكر عليهم وخالفهم وانه سلم منهم فلا بد
ان يهان ويعاقب على يد غيرهم فالحزم كل الحزم في الخوف من الله قالت ام المؤمنين عائشة
رضي الله عنها لمعاوية رضي الله عنه اما علمت اني سمعت ابا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا فمن هذه الله والله رسوله ووقاه شر نفسه
اضع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة

كما كانت

كما كانت للرسل واتباعهم ثم آخر عوقال الداخل في الايمان بلا بصيرة وانه اذا
اوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي اذاهم وتبلم اياه بما مكروه وهو له الم الذي لا بد ان ينال
الرسل واتباعهم مما خافوهم جعل ذلك مانعا في قلوبهم عن فعله وتركه السبب الذي ينال به عذاب
الله الذي فر منه المؤمنون بالايمان فالمؤمنون بكمال بصيرتهم فروا من الم عذاب الله الى الايمان
وحملوا ما فيه من الالم الزائل القارب عن قرب وهذا من الضعف بصيرتهم فرضوا من الم العداء
الرسل الى موافقتهم ومتابعتهم فقر من الم عذابهم الى الم عذاب الله فجعل الله فتنة
الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله وغيره كل الغين اذ استجار من الرضا بالنار
وفر من الم ساعة الى الم الابد واذا نصر الله عبدا وليا له قال في قلبه والله اعلم بما انطوى عليه
صدره من النفاق انتم وفي الآية رد على المرجئة والكرامية ووجهه انه لم ينفع هؤلاء
قولهم آمنا بالله مع عدم صبرهم على اذى من عاداهم في الله فلا ينفع القول والتصديق بدون
العمل فلا يصدق الايمان الشرعي على الانسان الا باجتماع الثلاثة التصديق بالقلب و
عمله والقول باللسان والعمل بالاركان وهذا قول اهل السنة والجماعة سلفا وخلفا
والله سبحانه وتعالى اعلم وفيه الخوف من مداهنة الخلق في الحق والمعصوم من عصمه الله قوله
عن ابي سعيد مرفوعا ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم على
رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية
كاره هذا الحديث رواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي واعله بحجر بن مروان السدوسي وقال الضعيف
وفيه ايضا عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين ومعنى الحديث صحيح وعلامة و
ان الله بحكمته جعل الرزق والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك قلت
والحديث وان كان ضعيف اسناده فمعناه صحيح قوله من ضعف اليقين الضعف بضم وتحرك
ضد القوة ضعف ككرم ونصر ضعفا وضعفا وضعافة وضعافة فهو ضعيف و
ضعوف وضعفاء والجمع ضعاف وضعفا وضعفة وضعف فضعافى والضعفى في الراية
بالضم في الدين فهو ضعيفه وضعوف واليقين كمال الايمان قال ابن مسعود اليقين الايمان
كله والصبر نصف الايمان ورواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد من حديث ابي هريرة مرفوعا
قال ويدخل في ذلك تحقيق الايمان بالقدر السابق كما في حديث ابن عباس مرفوعا فان
استطعت ان تعمل بالرضى في اليقين فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وفي رواية قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم
يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك قوله ان ترضي الناس بسخط الله اي تؤثر رضاهم

وتمامه

على رضى الله وذلك اذا لم تعلم بقلبك اعظام الله واجلاله وهيبته ما يمنعك استجلاب رضى
المخلوق بما يجب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلوب ويفرج الكروب
ويغفر الذنوب وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك لانه آثر رضى المخلوق على
رضى الله وتقرب اليه بما يسخط الله ولا يسلم من هذا الا من سلمه الله ووفقه لمعرفته ومعرفة
ما يجوز على الله من اثبات صفاته على ما يليق بجلاله وتنزيهه تعالى عما كان ما ينافي كما
ومعرفة توحيده في ربوبيته والاهيته وبالله التوفيق **قوله** وان تحمدهم على رزق الله اي
على ما وصل اليك من ايديهم بان تضيفه اليهم وتحمدهم عليه كان المتفضل هو الله وحده
الذي قدر ذلك واوصله اليك واذا اراد امرأ قبض اسبابه ولا ينافي هذا حديث لا يشكر
الناس لا يشكر الله لان شكرهم انما هو بالدعاء لهم بكون الله ساقه على ايديهم فقد عوالهم
او تكافيهم لحديث من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا
انكم قد كافئتموه فاضافة الصنيعة اليهم تكون بهم صارت اسبابا في ايصال المعروف اليك
والذي قدره وساقه هو الله وحده **قوله** والله لتنهم على عالم لو تكل الله لانه لم يقدر لك ما
طلبته على ايديهم فلو قدره لك لساقه المقادير اليك **قوله** من علم ان المنفرد بالعطاء والمنع
هو الله وحده وانه هو الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يمنع مخلوقا
على رزق ولم يتعرض على منع ونحو اضاف الى الله ولم يعتمد عليه في امر دينه ودنياه وقد قدمنا هذا
المعنى يقول في الحديث ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره كما قال تعالى ما
يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم **قال الخطابي**
رحم الله اليقين يتضمن اليقين في القيام بامر الله وما وعد الله اهل طاعته وليتضمن اليقين
بقدر الله وخلقه وتدبيره فاذا ارضيتهم بسخط الله لم تكن موفقا لا بوعده ولا بر رزقه فانه
انما يملك الانسان على ذكر اما مال الى هواه في ايديهم فيتركك القيام فيهم بامر الله لما يرجو منهم
واما ضعف يقينك بما وعد الله اهل طاعته من النصر والتاييد والثواب في الدنيا والاخرة
فاذكر اذا رضيت الله نصرك وتولاك وكفاك مؤنتهم وارضاهم بما يسخط انما يكون خوفا
منهم ورجاء لهم ومن ضعف اليقين واذا لم تقدر لك ما تظن انهم يفعلونه معك
فالامر في ذلك الى الله لا الى هؤلاء فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فاذا ذممتهم على ما لم يقدر كان
ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك وتكلم برحمة الله
ورسوله فهو المحمود ومن ذم الله ورسوله منهم فهو المذموم ولما قال بعض فقهاء بني تميم اعطني
شاه حتى يزيد وذبي شين قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الذي لا خلاق له في الآخرة وكما قال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان
كنتم مسلمين وقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا والآيات في الامر بذلك كثيرة **جلا**

قول

التمس ص

قوله وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال من ارضى الله بسخط الناس رضي الله
عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس ره
ابن حبان في صحيحه هذا الحديث رواه بهذا اللفظ ورواه الترمذي عن رجل من اهل
المدينة قال كتب معاوية رضي الله عنه الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا
تكثري علي فكتبت عائشة رضي الله عنها الى معاوية اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضى الناس بسخط
الله وكله الله الى الناس والسلام عليك ورواه ابو نعيم
قول من التمس اي طلب قال **الخطابي** الا سلام وكتبت عائشة الى معاوية تورى انها
رفعته من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن ارضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله
شيئا هذا اللفظ المرفوع واللفظ الموقوف من ارضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وارضى عنه الناس
ومن ارضى الناس بسخط الله عاد حامده ذاما وهذا من اعظم الفقه في الدين فان من ارضى الله بسخطهم
كان قد اتقاه وكان عمله الصالح والله يتولى الصالحين والله كافي عبده ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وانه يكفيه مؤنة الناس بما رتب وما كون الناس كلهم يرضون عنه فغير
محصل ذلك لكن يرضون عنه اذا سلموا من الاغراض واذا تبين لهم العاقبة ومن ارضى الناس بسخط
الله لم يغنوا عنه من الله شيئا كالظالم الذي يعض على يده وآما كول حامد ينقلب ذاما فهذا يقع
كثيرا ويحصل في العاقبة فان العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند اهوائهم انتهى **قلت** احسن
قال **الخطابي** اذا صح منك الود يا غاية المنى ❊ فكل الذي فوق التراب تراب
قال **بعض** العلماء من تحقق ان الكل مخلوق فوق التراب فهو فوق التراب فكيف يقدم طاعة من هو فوق التراب
على طاعة رب الارباب ايام كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب ان هذا لشيء عجاب وفي الحديث
عقوبة بخمس في الناس وآخامسة في السلطان فاما العقوبة التي في الناس فقد تكون في البدن عياذا بالله من ذلك
كما قال تعالى في اعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
قوله باب **قول** الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين **قال** ابو السعادات
التوكل بالامر اذا ضمنه القيام به ووكلت امري الى فلان اذا اعتمدت عليه ووكل فلان فلانا اذا استكفاه امره
ثقة بكفايته او عجزا عن القيام بامر نفسه انتهى وايراد المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية بعد الآية
فريضة يجب اخلاص العمل لله تعالى فان تقديم المعمول يفيد الحصر اي وعلى الله فتوكلوا لا على غيره فهو من اجمع انواع
العبادة واعظمها لما اشتملت عليه من الاعمال الصالحة فانه اذا اعتمد على الله في جميع امور الدنيا والدين بوأه
دورا من سواه صحح اخلاصه ومعاملته مع الله تعالى فهو من اعظم منازل اياك نعبد واياك نستعين فلا يحصل
كمال التوحيد بنواعه الثلاثة الا بالتوكل على الله كما في هذه الآية وكما قال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان
كنتم مسلمين وقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا والآيات في الامر بذلك كثيرة **جلا**

قال الامام

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى التوكل عمل القلب وقال ابن القيم في معنى الآية المترجم بها فجعل التوكل على الله
شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه وفي الآية الأخرى قال موسى يا قوم إن كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فجعل دليل صحة الإسلام التوكل وكلما قوي إيمان العبد كان
توكله أقوى وإذا كان توكله ضعيفاً كان دليلاً على ضعف الإيمان ولا بد والله تعالى يجمع بين
التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والإسلام وبين
التوكل والهداية فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام وأن
منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان و
مقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل **قال شيخ** الإسلام رحمه الله تعالى وما رجا أحد مخلوقاً ولا
توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير
أو تهوي به الريح في مكان سحيق قال الشارح رحمه الله **قلت** لكن التوكل قسمان أحدهما
التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء
مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة فهذا شرك أكبر الثاني التوكل في الأسباب
الظاهرة كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق أو دفع أذى ونحو
ذلك فهو نوع شرك أصغر والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه
لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه
أو نائبه وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي
أوجد السبب والمسبب قال متن وقول الله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الآية ش قال ابن عباس في الآية المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء
فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون
زكاة أموالهم فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال إنما المؤمنون الذين
إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ووجل القلب من الله يستلزم
القيام بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه قال السدي الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هو
الرجل يريد أن يظلم أو قال يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيجل قلبه رواه ابن أبي شيبة وابن
جرير **قوله** وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً استدل الصحابة رضي الله عنهم
والتابعون ومن تبعهم بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه قال عمير بن
حبيب الصحابي إن الإيمان يزيد وينقص فقيل وما زيادته ونقصانه قال إذا ذكرنا
الله وخشيناه فذلك زيادته وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه رواه ابن أبي

سعد

سعد وقال مجاهد الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل رواه ابن أبي حاتم وحكى الإجماع على ذلك
الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى **قوله** وعلى ربهم يتوكلون أي يعتمدون عليه
بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يرغبون إلا إليه
يعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا
شريك له وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان وهي الخوف وزيادة
الإيمان والتوكل على الله وحده وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله
الظاهرة والباطنة مثال ذلك الصلاة فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى أركانها كما أمر
الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات وترك جميع المحرمات قال تعالى إن الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر وقوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ش
قال ابن القيم رحمه الله تعالى أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد وهذا اختيار
شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقيل المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون قال ابن القيم رحمه الله تعالى وهذا
خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه فإن الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة قال الله تعالى
وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ففرق بين الحسب والتأييد
فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث
أفردوه بالحسب فقال تعالى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله و
نعم الوكيل ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ونظير هذا قوله سبحانه وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من
فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون فتأمل وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله كيف جعل الإيتاء لله ولرسوله
وجعل الحسب له وحده فلم يقل وقالوا حسبنا الله ورسوله بل جعله خالص حقه كما قال تعالى إنا إلى الله
راغبون فجعل الرغبة إليه وحده كما قال وإلى ربك فارغب فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب
له وحده كما أن العبادة له وحده والتقوى والسجود والنذر والحلف لا يكون إلا له سبحانه وتعالى
انتهى وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة فإذا كان هو الكافي لعبده وجب ألا يتوكل إلا عليه ومتى التفت
بقلبه إلى سواه وكله الله إلى من التفت إليه كما في الحديث من تعلق شيئاً وكل إليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ش
قال ابن القيم أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع لعدوه فيه ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد
والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء
وهو في الحقيقة إحسان وإضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه قال بعض السلف
جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه
فلم يقل فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه

فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والارض ومن فيهن لجعل له مخرجا ورزقه
وكفاه ونصه انه في آخر رواه احمد في الزهد عن وهب بن منبه قال الله عز وجل في بعض
كتبه بعزتي اني لو اعتصم بي فكادته السموات والارض ومن فيهن فاني اجعل له مخرجا ومن
لم يعتصم بي فاني اقطع يديه من اسباب السماء واخسف به من تحت قدميه الارض فاجعله في الهوى
ثم اكله الى نفسه كفا بي لعبدي ما لا اذا كان عبدي في طاعتي اعطيته قبل ان يسألني واستجب له
قبل ان يدعوني فانا اعلم بحاجته التي ترفق به وفي الآية دليل على فضل التوكل وانه اعظم
الاسباب في جلب المنافع ودفع المضار لان الله تعالى علق اكفاء الاخبث على الاول بتعليق
الجزاء على الشرط فيمتنع ان يكون وجود الشرط كعدمه لان الله تعالى رتب الحكم على الوصف
المناسب فعلم ان توكل هو سبب كونه الله حسبا له فيها وفيها تنبيه على القيام بالاسباب ومع
التوكل لانه تعالى ذكر التقوى ثم ذكر التوكل كما قال تعالى واتقوا الله وعلى الله فتوكلوا فجعل
فجعل التوكل مع التقوى الذي هو قيام بالاسباب المامور بها فالتوكل به وهو القيام بالاسباب
المامور بها عجز محض والا كان حشوا بنوع من التوكل فلا ينبغي للعبد ان يجعل توكله عجزا
ولا عجزه توكلا بل يجعل توكله في جلب الاسباب التي لا يتم المقصود الا بها كلها ومن ترك القيام
بعضها قال ابن عباس رضي الله عنهما قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم
حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه البخاري ش قوله حسبنا الله اي كافينا فلا نتوكل الا عليه قال
تعالى اليس الله بكاف عبده قوله ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه كما قال تعالى واعتصموا بالله هو مولاكم
فنعم المولى ونعم النصير وخصوص نعم المخصوص بالذم قال ابن القيم رحمه الله هو حسب
من توكل عليه وكافي من لجأ اليه وهو الذي يؤمن خوفه الخائف ويجير المستجير ممن ناواه ويسلم
استسلم له وتوكل عليه وانقطع بكليته اليه حفظه وحرسه وصانه وخافه واتقاه
انه ما يخاف ويحذر وطلب اليه ما يحتاج اليه من المنافع قوله قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم
حين القي في النار قال تعالى قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم الآية قوله وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وذكر بعد منصرف
قريش من الاحزاب من احد بلغه ان ابا سفيان ومن معه قد اجمعوا ان يكروا عليهم فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا حتى انتهوا الى حمراء الاسد فالقى الله الرعب في قلب ابي سفيان

فرجع

فرجع الى مكة بمن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة
قال فهل انتم مبلغون محمدا عني رسالة قالوا نعم قال فاذا اتيتموه فاخبروه انا قد
اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بحمراء الاسد فاخبره بالذي قال ابو سفيان فقال حسبنا الله ونعم الوكيل
ففي هاتين الغصتين فضل هذه الكلمة العظيمة وانها قول الخليل عليه السلام في
النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم في الامر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل قوله ص
يا حسبك الله تعالى فما فوقه مكر الله ان يمكر على الله الا القوم الخاسرون شرح قصد
المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية التنبيه على ان من مكر الله من اعظم الذنوب وانه ينافي كمال
التوحيد كما ان التوكل من زعم الله كذلك وقد ذكر رشد الى ان الموصل سبيل الى الله بين الخوف
والرجا فكما دل عليه الكتاب والسنة ودل عليه اكثر الائمة ومعنى الآية ان الله تبارك
وتعالى لما ذكر حال اهل القرى المكذبة للرسل بين ان الذي حملهم على ذلك هو الامن من مكر الله
وعدم الخوف فيه فقال افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل
القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون الخ فمن مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي الهالكون وذكر انهم امنوا مكر الله لما استدرجهم بالتسرا والنعم فاستبعد واله يكون
ذكر مكر اقال الحسن رحمه الله من وسع الله عليه فلم ير انه يمكر به فلا رأي لاحد وقال قتادة رحمه الله
بغت النعم ادالله وما اخذ الله قوما قط الا عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله وفي
الحديث اذا رأيت الله يعطي العبد على معاصيه ما يحب فانما استدراج رواه احمد وابن جرير
وابن ابي حاتم وقال اسمعيل بن رافع في الامن من مكر الله اقامة العبد على الذنب يتمنى على الله
المغفرة رواه ابن ابي حاتم وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف يستدرجهم الله بالنعم اذا
عصوه ويملي لهم ليأخذهم اخذ عزيز مقتدر وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك ذكره
ابن جرير بمعناه قال ص وقوله تعالى ولا يقنط من رحمة ربه الا الضالون ش القنوط استبعاد
الفرج واليأس منه وهو نقيض الامن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم وتقدم ما فيه لمنافاته كمال
التوحيد وذكر المصنف رحمه الله هذه الآية مع التي قبلها تنبيها على انه لا يجوز لمن خاف الله ان
يقنط من رحمته كما قال تعالى هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله
غفور رحيم فالرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان ليوقع العبد في الخوف ومع

ترك الاسباب المنجية من المهالك بخلاف حال اهل الايمان الذين اخذوا باسباب النجاة خوفا من الله تعالى
وهربا من عقابه وطمعا في المغفرة والرجا لثوابه والمعنى ان الله تعالى حكى قول خليله ابراهيم عليه
السلام لما بشرته الملائكة بابنه اسحق قال ابن التين على انه معنى التكبير فيهم تبشروني لان العادة
ان الرجل اذا كبر سنه وسن زوجته استبعد ان يولد له منها واسه اعلم كل شيء قدير فقال الملائكة
نبشرك بالحق الذي لا ريب فيه فكان اسه اذا اراد شيئا ان يفعله لم يمنعه فيكون به فلا تكن من
القانطين اي من الآيسين فقال عليه السلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فانه يعلم
من قدرة اسه ورحمته ما هو ابلغ من ذكره لعظم ذلك قال اسه اعلم قال ابن التين كما وجه النعجب فقوله
الا الضالون قال بعض المحققين طريق الصواب او الا الكافرون ويحتمل انه لا يايس من روح
اسه الا القوم الجاحدون قوله ص وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول اسه صلى الله عليه وسلم سئل عن
الكبائر فقال الاشراك باسه واليأس من روح اسه والامن من مكر اسه تقدم هذا الحديث
رواه البزار وابن ابي حاتم من طريق شعيب بن ابي بشر عن عكرمة عن ابن عباس ورجاله ثقات
الا شعيب بن بشر فقال ابن معين ثقة ولينه ابو حاتم وقال ابن كثير في اسناده نظر و
الاشبه ان يكون موقوفا قوله الشرك باسه هو اكبر الكبائر قال ابن القيم رحمه الله تعالى و
الشرك باسه هضم للربوبية ونقص للالهية وسوء ظن برب العالمين انتهى وتقدم وضح
قال تعالى الذين كفروا بربهم يعدلون وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وكذا من يقنط
الا بالتوبة منه تعالى واليأس من روح اسه اي قطع الرجا والامل من اسه فيما خافه ورجوه
وذكر اسه توطئة باسه وجعله به وسعة رحمته وجوده ومغفرته فهو والامن من مكر اسه
اي من استدراجه للعبد وسلبه ما اعطاه من الايمان نعوذ باسه من ذلك وذكر جهل باسه و
بقدرته وثقة بالنفس وعجب بها واعلم ان هذا الحديث لم يرد به حصر الكبائر في الثلاث
بل الكبائر كثيرة وهذه الثلاث من اكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسنة وظاهر ما
قال المحققون من العلماء كل ذنب ختم اسه بنار او لعنة او غضب او عذاب فهو
او قال ليس دونه فعل كذا وكذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي الى السبعين اقرب منها
الى سبع غير انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار قوله ص وعن ابن
مسعود رضي الله قال اكبر الكبائر الشرك باسه والامن من مكر اسه والقنوط من رحمة اسه و
اليأس من روح اسه رواه عبد الرزاق كذا وروى ابن جرير بإسناد صحيح عن ابن مسعود

رضي الله

وعنه قال اكبر الكبائر الاشراك باسه اي في ربوبيته او عبادته وقد ابان الاجماع حول
والقنوط من رحمة اسه قال ابن العربي هي اشد اليأس وفيه التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف
فاذا خاف فلا يفرط بأن يأمن بل يرجو رحمة اسه وكان السلف يستحبون ان يقوي في الصحة
الخوف وفي المرض الرجاء وهذا طريقة ابي سليمان الدارني وغيره قال وينبغي للقلب ان يكون
الغالب عليه الخوف فاذا غلب الرجاء فسد القلب قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا
ورهبا ويحتمل ان يكون الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير وقال تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وقال تعالى والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون او يكون يسارعون في الخيرات وهم لها
سابقون وقال تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
الآية وقدم الحذر على الرجاء في هذه الآية قوله باب من الايمان باسه الصبر على
اقدار اسه قال الامام احمد رحمه اسه تعالى ذكر اسه تعالى الصبر في نحو من موضعا من القرآن
كتابه الحكيم وفي الحديث الصحيح الصبر ضياء رواه احمد ومسلم وللبخاري قال ما علم
ما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر قال عمر رضي الله عنه وجدنا خير عيشنا بالصبر رواه
البخاري قال علي رضي الله عنه ان الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ثم رفع صوته فقال الا
انه لا ايمان لمن لا صبر له واشتقاقه من صبر اذا حبس ونفس والصبر الحبس النفس عن الجزع
وحبس اللسان عن التشكي والتشحط والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما
ذكره ابن القيم واعلم ان الصبر ثلاثة اقسام صبر على ما اوامر اسه به وصبر عما نهى اسه عنه وصبر
على ما قدر اسه من المصايب قوله ص وقول اسه تعالى ومن يؤمن باسه يهد قلبه ش اورد الآية لما
فيها من مصيبة الانسان اي بمشيئة واراته وحكمته كما قال في الآية الاخرى ما اصاب من
مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها الآية وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصا
بتهم مصيبة قالوا انا اسه وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
قوله ومن يؤمن باسه يهد قلبه قال ابن عباس هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند اسه فيرضى ويسلم ش هذا الاثر رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وعلقه

خاف

هو بن عبد الله بن قيس النخعي الكوفي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسمع من ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي وسعد بن مسعود وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم وهو من كبار التابعين وعلمائهم
وثقاتهم مات بعد الستين قال هو الرجل تصيبه المصيبة الى آخره قال هذا الاثر رواه الاعمش عن
ابي ضبيان قال كنا عند علقمة فقرأ عليه هذا الآية ومن يؤمن بالله يهد قلبه يعني يسترجع
يقول انا لله وانا اليه راجعون قال هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم
هذا سياق ابن جرير وفي هذا دليل على ان الاعمال من مسمى الايمان قال سعيد بن جبير ومن يؤمن
بالله يهد قلبه يعني يسترجع يقول انا لله وانا اليه راجعون وفي الاية بيان ان الصبر سبب
الهداية القلب وانها من ثواب الصابر قوله صح وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت
اي هما بالناس كفر حيث كانتا من اعمال الجاهلية وهما قائمتان بالناس ولا سلم منهما الا من عصمه الله تعالى
ورزقه علما وايمانا يستضيء به لكن من قام به شعبة من شعب الكفر تصير كافرا الكفر
المطلق وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قول البيهقي بين العبد وبين الكفر والشرك الا ترك
الصلاة وبين كفر منكر في الاثبات قوله الطعن في النسب اي عيبه ويدخل فيه ان يقال هذا
ليس بفلان مع ثبوت نسبه قوله والنياحة على الميت اي رفع الصوت بالندب ونحوه فعلا
بالميت لما فيه من السخط الظاهر على القدر المنافي للصبر تقول النائحة واعضداه وانا صواه
وغو ذكر وفيه دليل على ان الصبر واجب وان ترك الكفر مما لا ينقل عن الملة قوله اصل
ولهما عن ابن مسعود مرفوعا ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية
من هذا من نصوص الوعيد وقد جاء عن سفيان الثوري واحمد كراهية نكو بلها ليكون
اوقع في النفوس وابلغ في الزجر وهو يدل على ان ذلك ينافي كمال الايمان الواجب قوله
من ضرب الخدود قال الحافظ خص الخد لكونه الغالب والا فضرب بقية الوجه مثله
قوله وشق الجيوب هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب وذلك من عادة اهل الجاهلية
عزنا على الميت قوله ودعى بدعوى الجاهلية قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فورب
الميت وقال غيره هو الدعاء بالويل والثبور وقال ابن القيم رحمه الله تعالى الدعاء بدعوى
الجاهلية هو كالدعاء الى العصبية وقبيله التعصب الى المذاهب والطوائف
والمشايخ وتفضيل بعض على بعض بدعوا الى ذكر ويوالي عليه ويعادي فكل هذا من دعوى
الجاهلية وعند احمد وصححه حبان عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن

الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور وهذا يدل على ان هذه الامور
من الكبائر وقد يعفى عن الشيخ الكبير في ذلك اذا كان صدقا وليس على وجه النوح والسخط
نص عليه احمد رحمه الله لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولطم
في هذه الاحاديث ما يدل على ان البكاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات
ابنه ابراهيم قال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون
وفي الصحيحين عن اسامة بن زيد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى احدى بناته ولها صبي
في الموت فرفع الصبي نفسه تقعقع كانها شن فقاضت عيناه فقال سعد ما هذا يا رسول الله
قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وفي لا يرحم لا يرحمه الله وانما يرحم الله من عباده الرحماء
قوله ص وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له
العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة رواه هذا الحديث
رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي واخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن مغفل واخرجه
عبد بن حميد عن ابي هريرة والطبراني عن عمار بن ياسر قوله اذا اراد الله بعبده الخير عجل العقوبة في الدنيا
اي بسبب البلاء والمصائب عليه لما فرط منه من الذنوب منه فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي
يوم القيمة قال شيخ الاسلام رحمه الله المصائب نعمة لانها مكفرة للذنوب وتدعو الى الصبر
فيثاب عليها وتقتضي الانابة الى الله والذل له والاعراض عن الخلق الى غير ذلك من المصالح
العظيمة التي هي فنفس البلاء يكفر الله به الذنوب والخطايا وهذا من اعظم النعم فالمصائب رحمة
ونعمة في حق عموم الخلق الا ان يدفع صاحبها بسببها في معاصي اعظم مما كان قبل ذلك فتكون شرا
عليه من جهة ما اصابه في دينه فان من الناس من اذا ابتلي بفقر او مرض او جوع حصل له من الجزع و
التسخط و مرض القلب او ترك الظاهر او ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له
الضرر في دينه فهذا كانت العافية خيرا له من جهة ما ادركته المصيبة لان جهة نفس المصيبة
كما ان من اوجبت له نفس المصيبة صبرا وطاعة كانت خيرا له من جهة ما حصل فيها من الصبر والطاعة
عز وجل ورحمة للخلق والله تعالى محمود عليها فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر نعمة في
دينه وحصل ما كفر من خطاياه رحمة وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه قال تعالى وليك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات فمن قام بالصبر
الواجب حصل له ذلك انتهى ملخصا قوله واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه اي اخر عنه العقوبة
بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة هو بضم الياء وكسر الفاء منصوبا بحتى مبنيا للفاعل قال العزيزي
اي لانجازه به بذنبه في الدنيا حتى يجيء في الاخرة مستوفيا الذنوب وافيها فتوفي ما يستحقه
من العقاب وهذه الجملة هي آخر الحديث فاما قوله ص

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء الى آخره فهو حديث آخر لكن لما رواهما الترمذي
باسناد واحد وصحابي واحد جعلهما المصنف كالحديث الواحد وفيه التنبيه على حسن الرجا
وحسن الظن بالله فيما يقضيه لكما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم الآية قوله ص وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم البلاء مع عظم الجزاء
وان الله تعالى اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط هذا الحديث
قال الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن ابي حبيب عن سعد بن سنان عن انس
وذكر الحديث السابق قال وفي هذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء الحديث
ثم قال وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وروى هذا ابن ماجه وروى الامام احمد عن محمد بن
لبيد رفعه انهم اذا احب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع قال المنذري
بجا لد ثابت قوله ان عظم الجزاء بكسر العين وفتح الظاء فيهما وبحذفهما مع سكون الظاء
من كاد ابتلاهم اعظم كمية وكيفية وقد يحتج بهذا الحديث من يقول ان المصاب يثاب عليها مع
تكفير الخطايا ورجح بن القيم رحمه الله ان ثوابها تكفير الخطايا فقط الا اذا كانت بسبب العمل
صالح كالصبر والرضا والتوبة والاستغفار فانه حينئذ يثاب على ما تولد منها وعلى هذا يقال
في معنى الحديث ان عظم الجزاء مع عظم البلاء اذا صبر فاحتسب فوله وان الله اذا احب قوما
ابتلاهم ولهذا ورد في حديث سعد سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلي على
قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة رواه الدارمي و
الترمذي وابن ماجه وصححه وهذا الحديث ونحوه من ادلة التوحيد فاذا عرف العبد ان
الانبياء والاولياء يصيبهم البلاء في نفوسهم الذي هو في الحقيقة رحمة ولا يدفعه عنهم
الا الله عرف انهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا دفعا فلا يتعلقون لغيرهم ادنى واجرى
فيحرم قصدهم والرغبة اليهم في قضاء حاجة وتفريج كربة وفي وقوع البلاء بالانبياء و
الصالحين من الاسرار والحكم والمصالح في العاقبة ما لا يحصى قوله فله الرضى اي من الله تعالى
وقد وصف الله تعالى نفسه في مواضع من كتابه كقوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقوله
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك الفوز العظيم وقد اتفق
اهل السنة اثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم
على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل فاذا رضي الله عنه حصل

له كل خير وسلم من كل شر والرضا هو ان يسلم العبد لمر الله ويحسن الظن به ويرغب فيما عنده وقد
يجد لذة بكثير راحة وانبساطا ومحبة لله تعالى وثقة به كما قال ابن مسعود ان الله يقسط و
عدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط قوله
ومن سخط بكسر الخاء قال ابو السعادات السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به اي من سخط
على الله فيما دبره اي في امر السخط اي في الله تعالى وكفى بهذا كفرا وقد يستدل به على وجوب
الرضا وهو اختيار بن عقيل واختار القاضي عدم الوجوب ورجح شيخ الاسلام وابن القيم
قال شيخ الاسلام ولم يجزم الامر به كما جاء الامر بالصبر وانما حاء الثنا على الصابر قال ولما
يروى مرفوعا يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي فهذا اسرائيلي ليس يصح عزوه
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى واعلم ان ذكر الرضا ان شكر الله
على المصيبة لما يرى من انعام الله عليه بها انتهى والله اعلم قوله ص باب
ما جاء في الرياء اي في النهي والتحذير قال الحافظ هو مشتق من الرؤية والمراد به اظهار
العبادة لتعصد رؤية الناس لها فيحبطها والفرق بينه وبين السمعة ان الرياء
لما يرى من العمل والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر والعمل يدخل في ذلك الحديث
بما عمل قوله ص وقول الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد الآية
اي ليس لي من الربوبية ولا من الالهية شيء بل ذلك كله لله وحده لا شريك له اوحاه الي فمن
كان يرجو لقاء ربه اي عافاه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قوله احدا نكرة
في سياق النهي فتعم وهذا العموم يتناول الانبياء والملائكة والصالحين والاولياء وغيرهم
قال شيخ الاسلام رحمه الله واما الالتفات فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن
المعاينة وقالوا لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيمة وذكر الادلة على ذلك قال ابن
القيم رحمه الله تعالى في الآية اي كما انه الله واحد لا اله سواه فكذلك ينبغي ان يكون العبادة
له وحده لا شريك له فكما تفرد بالالهية يجب ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالص
من الرياء المقيد بالسنة انتهى وفي الآية دليل على ان اصل الدين الذي بعث الله به رسوله ص الله
عليه وسلم والمرسلين قبله هو افراده تعالى بنوع العبادة كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون والخالف في هذا الاصل العظيم هذه الامة اقسام اعظم
نازع الله في ربوبيته والهيته ويدعو الناس الى عبادته او ظالم يدعو الناس الى عبادة الاوثان

كالصلاة ص

او شرك به عز غيره الله وتقرب اليه بانواع العبادة او بعضها او شارك في التوحيد اهو حق
ام يجوز ان يجعل لله شريك في عبادته او جاهل يعتقد انه الشرك دين يتعبد الى الله وهذا
هو الغالب على اكثر العوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم لما اشتد غربة الدين ونسي العلم
بديه المرسلين قول صح وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن
الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه رواه مسلم قلت فمن عمل عملا اشرك فيه
معي غيري اي من قصد بعمله غيري في الظاهر فيه تركته وشركه ولا بد حاجة فانه هنا بريء وهو
للذي اشرك قال الطيبي الضمير المنصوب في قوله تركته يعود الى زائد يرجع الى العمل قال رح
رحمه الله تعالى واعلم ان العمل لغير الله اقسام فتارة يكون رياء محضا كحال المنافقين كما
قال تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وهذا
الرياء المحض لا يكاد يصدر من مومن في فرض الصلاة والصيام وقد يصدر في الصدقة
الواجبة او الحج الواجب وغيرها من الاعمال الظاهرة او التي يتعدى نفعها فانه الاخلاص
فيها عزيز وهذا العمل لا شك مسلم انه حابط وان صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة ثم تارة
يكون العمل لله وبشاركه الرياء فان كان اصل العمل لله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه و
ذكر احاديث تدل على ذلك منها هذا الحديث وحديث شداد بن اوس وفي عامر صلى
بمرائي فقد اشرك وفي صام بمرائي فقد اشرك وفي تصدق بمرائي فقد اشرك وروى ان الله
عز وجل يقول انا خير قسيم لمن اشرك بي في عمله شيئا فان حقير قليل وكثيره
لشريكه الذي اشرك به انا عنه غني رواه احمد وذكر احاديث في المعنى ثم قال فان خالط
نيته الجهاد نية غير الرياء مثل ان حج للتجارة او اخذ شيئا من الغنيمة او النجاة من بلد كما
جرى لعباده ولم يبطل بالكلية قال رح رجب وقال الامام احمد رحمه الله التاجر
والمستاجر والمكري اجرهم على قدر ما يخلص في نياتهم في غزواتهم ولا يكون مثل من جاهد
بنفسه وماله لا يخلط به غيره وقال ابو نعيم بن حماد حججت فلما اخذت جلالا عن الابل
فلا باس كانه خرج لدينه فان اعطي شيئا اخذه وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
قال اذا اجمع احدكم على الغزو فعوضه الله رزقا فلا باس بذلك واما ان اعطي دراهم

باب الغزو

غزا

غزا وان لم يعط لم يغز فلا خير في ذلك وروي عن مجاهد رحمه الله انه قال فرج الحال وحج
الاجير وحج التاجر هو نام لا ينقص من اجرهم شيء اي لان قصدهم الاصلي كان هو الحج
دون التكسب فان كان اصل العمل لله ثم طرى عليه فيه الرياء فان كان خاطرا ثم
دفعه فلا يضره بغير خلاف وان استرسل معه فحابطه ام لا يجازى على اصل
نيته في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف فحكاه الامام احمد وابن جرير وابن جرجا
انه عمل لا يبطل بذلك وانه يجازى بنيته الاولى وهو مروي عن الحسن وغيره وفي هذا
المعنى جاء حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الرجل يعمل العمل ويحمده
الناس عليه فقال تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم انتهى ملخصا قلت
وتمام هذا المقام يتبين في شرح حديث سعد انشاء الله تعالى وقوله صلى الله عليه وسلم وفوق
كل ذي علم عليم وقوله الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى
قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل رواه احمد
وروى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايها الناس اياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر قال يقوم
الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الرجل اليه فذلك شرك السرائر قوله
عن ابي سعيد هو الخدري وتقدم قول الشرك الخفي سماه خفيا لان صاحبه يظهر انه عمل
لله وقد قصد غير الله وشرك بينه وبين صلاته الا جل وعن شداد بن اوس قد كنا نعد
الرياء عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص
ورجح جرير في التهذيب والطبراني والحاكم وصححه قال رح القيم واما الشرك الاصغر فكيسير
الرياء والتصنع للمخلوق والحلف بغير الله وقول الرجل لولا الله وانت وشئت وهذا من الله
وملك وانا بالله وبك وما لي الا الله وانت وانا متوكل على الله وعليك ولولا الله وانت لم
يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شركا اكبر بحسب حال قائله وقصده انتهى والاخلاص
والنصح لله في القول والعمل وقد تقدم ذكر النصح عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه
اللغلاص شرط الصحة العمل وقبوله وقد ذكر الله تعالى في غير موضع كما قال الفضيل رح عن قوله
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه واصوبه قيل يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل
اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا
صوابا فالخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة سوى ما تقدم في الحديث من الفوائد مشتقة البحر
رحمه الله وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تنبيه اخوف ما على الصالحين من فتنة الدجال فاذا كان النبي صلى
الله عليه وسلم يخاف على سادات الاولياء من شرك السرائر فما ظنك بغيرهم وعلمهم بعيوب نفوسهم وشهواتها وتلونها
اضعف واحبه باب حكم الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا شن

فان قيل فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قيل قلت بينهما عموم وخصوص مطلق
تجمعهما ارادة وهو اذا اراد الانسان بعمله التزين عند الناس والتصنع لهم والثناء فهذا رياء كما
تقدم بيانه في المنافقين وهو ايضا اراد الدنيا بالتصنع عند الناس وطلب المنعة
منهم والاكرام ويفارق الرياء بكون نية العمل الصالح اراد به عرضا من الدنيا لكن يجاهد لها خذ حالا كما
في الحديث تعس عبد الدينار او يجاهد للغنم او غير ذلك من الامور التي ذكرها شيخنا عن ابن عباس
وغيره من المفسرين في معنى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها واراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة
وما بعدها ان العمل لاجل الدنيا قد يكون بنية في كمال التوحيد الواجب وحبط الاعمال وهو
اعظم من الرياء لان مريد الدنيا قد تغلب ارادته تلك على كثير من عمله واما الرياء فقد يعرض لذي عمل
وهو عمل ولا يستمر معه والمؤمن يكون حذرا من هذا وهذا قوله من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كان
يريد الحيوة الدنيا اي تواتيها وزينتها اي مالها نوف لهم ثواب اعمالهم بالصحة والسرور في المال
والاهل والولد وهم فيها لا يبخسون ثم نسخت ما كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد الآية رواه النحاس في ناسخه قوله ثم نسختها اي قيدتها فلم تبق الآية على اطلاقها وقال
قتادة يقول من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي
الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء واما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب
عليها في الآخرة ذكره ابن جرير بسنده ثم ساق حديث ابي هريرة عند المبارك عن حيوة بن
شريح قال احدثني الوليد بن ابي الوليد ابو عثمان ان عقبة بن علقمة حدثه مسلم حدثه
ان شفي بن ماتع الاصبحي حدثه انه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس
فقالوا هذا ابو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما
سكت وخلا قلت انشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
عقلته وعلمته فقال ابو هريرة افعل لاحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا
البيت ما فيه احد غيري وغيرك ثم نشج ابو هريرة نشجة شديدة ثم خر على وجهه واشتد
به طويلا ثم افاق فقال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم
القيمة نزل الى العبيد ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجلا جمع القرآن
ورجلا قتل في سبيل الله ورجلا كثير المال فيقول الله تبارك وتعالى للقاري الم اعلمك ما انزلت
على رسولي فيقول بلى يا رب فقال فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم آناء الليل وآناء النهار فيقول
الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان قاري فقد

فقد قيل ذلك وبني لي صاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقال
بلى يا رب قال فما عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله له كذبت
وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك وبني للذي
قتل في سبيل الله فيقول الله له فيما قتلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى
قتلت فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان
جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك
الثلاثة اول من تسعر بهم النار يوم القيمة **وقال** سئل شيخنا المصنف رحمه الله تعالى
عن هذا فاجاب بما حاصله ذكر عن السلف فيها انواع مما يفعله الناس اليوم
ولا يخرج فوق معناه فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه
الله من صدقة وصلاة وصلة او احسان الى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الا
نسان او يتركه خالصا لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة انما يريد ان يحاز به امر
يحفظ ماله وتنميته او حفظ اهله وعياله او ادامة النعمة عليهم ولا نعمة له في
طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب
وهذا النوع ذكره ابن عباس النوع الثاني وهو اكبر من الاول واخوف وهو
ما ذكره مجاهد في الآية انها نزلت فيه وهو ان يعمل اعمالا صالحة وينيه رياء الناس
لا طلب ثواب الآخرة النوع الثالث ان يعمل اعمالا صالحة يقصد بها
مالا مثل ان يحج للمال يأخذه لله او يهاجر للدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها او يجاهد
لاجل المغنم فقد ذكر ايضا هذا النوع في تفسير هذه الآية وكما يتعلم الرجل لاجل
مدرسة اهله او مكسبهم او رياستهم او يتعلم القرآن ويواضب على الصلاة
لاجل وضعة المسجد كما هو واقع كثير النوع الرابع ان يعمل بطاعة الله مخلصا
في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفر يخرجه من الاسلام مثل اليهود
والنصارى اذا عبدوا الله او تصدقوا او صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة

وقد كثير من هذه الامة الذين فيهم كفر او شرك اكبر يخرجهم من الاسلام بالكلية اذا اطاعوا الله
طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على عمل يخرجهم من الاسلام
ويمنع قبول اعمالهم فهذا النوع ايضا قد ذكر في هذه الآية عن انس رضي الله عنه وغيره و
كان السلف يخافون منها قال بعضهم لو اعلم ان الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت
الموت لان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين ثم قال بعضهم اذا عمل
الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة
ثم بعد ذلك عمل عملا لاقى صدره الدنيا مثل ان يحج فرضه لله ثم يحج بعده لاجل الدنيا كما
هو واقع فهو لما غلب عليه منها وقد قال بعضهم القرآن كثيرا ما يذكر اهل الجنة
الخلص واهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وامثاله
قوله ص وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميل ان
اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد
آخذ بعنان فرسه في سبيل الله اشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة
كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استأذن لم يؤذن له
وان شفع لم يشفع ش قوله في الصحيح اي صحيح البخاري قوله تعس هو بكسر العين
ويجوز الفتح اي سقط والمراد هنا هلاك كما في الخاتمة في موضع آخر والتعس ضد سعد
اي شقي وقال ابو السعادات يقال تعس يتعس اذا عثر وانكب لوجهه وهو
دعاء عليه بالهلاك قوله عبد الدينار هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن
زنته درهم وثمن درهم قوله الدينار زنة الدرهم وثمن درهم قوله تعس عبد
الدرهم هو من الفضة قدره الفقهاء بالشعير وزنا وعندنا منه درهم من
ضرب بني امية وهو زنة خمسين حبة شعير وخمسا حبة سماه عبد الله لكونه
هو المقصود بعمله فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكا لله في عبوديته

كما هو

كما هو حال الاكثر قوله تعس عبد الخميصة قال ابو السعادات هو ثوب خز او صوف
معلم وقيل لا تسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وتجمع على خمائص والخميل بفتح الخاء
المعجمة وقال ابو السعادات ذات الخمل من ثياب لها خمل من اي شيء كان قوله تعس وانتكس
قال الحافظ هو بالمهملة اي عاوده المرض وقال ابو السعادات اي انقلب على رأسه
وهو دعاء عليه بالخيبة قال الطيبي فيه الترقي عليه بالدعاء عليه بانه اذا تعس انكب على
وجهه فاذا انتكس انقلب على رأسه بعد ان سقط قوله واذا شيك اي اصابته
الشوكة فلا انتقش اي فلا يقدر على اخراجها بالمنقاش قاله ابو السعادات والمراد
ان من كانت هذه حاله فلا يدان يجد اثر هذه الدعوة من الوقوع فيما يضره في عاجل
دنياه وآجل آخرته قال شيخ الاسلام رحمه الله فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار
والدرهم وعبد الخميصة وعبد الخميل وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله
تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وهذا حال من اذا اصابه شر لم يخرج منه
ولم يفلح بكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذا حال من
عبد المال وقد وصف ذلك بانه ان اعطي رضي وان منع سخط كما قال تعالى ومنهم من
يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون فرضاهم لغير الله
وسخطهم لغير الله وهذا حال من كان متعلقا منها برياسة او صورة ونحو ذلك فمن
اهوائه نفسه ان حصل له رضي وان لم يحصل له سخط فهذا عبد ما هواه من ذلك وهو يفوق
له اه الرئاسة والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب
واستعبده فهو عبد الا ان قال وهكذا ايضا طالب المال فان ذلك يستعبده و
يسترقه وهذه الامور نوعان فمنها ما يحتاج اليه العبد كما يحتاج الى طعامه وشرابه
ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده بمنزلة ما
يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير ان
يستعبده فيكون هلوعا ومنوعا فالا يحتاج اليه العبد فهذا ينبغي ان لا يعلق قلبه بها
فاذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها وربما صار مستعبدا ومتعبدا لغير الله

فيها فلا ينبغي معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة
لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من احق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة وهذا هو
عبد لهذه الامور ولو طلبها من الله فان الله اذا اعطاه اياها رضي واذا منعه اياها
سخط وانما عبد الله من كان رضيه ما رضي الله وسخطه ما سخط الله ويحب ما احب الله
ورسوله ويبغض ما ابغض الله ورسوله ويوالي اولياء الله ويعادي اعداء الله فهذا
الذي استكمل الايمان انتهى ملخصا قوله طوبى لعبد قال ابو السعادات طوبى
اسم الجنة وقيل هي شجرة فيها ويؤيد هذا ما روى بن وهب بسنده عن ابي سعيد
قال رجل يا رسول الله وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل
الجنة تخرج من اكمامها ورواه الامام احمد حدثنا حسن بن موسى سمعت ليث
عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج ابو السمح ان ابا الهيثم حدثه عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك قال
طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني فقال له رجل وما طوبى
قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها ولهذا شواهد في الصحيحين
وغيرهما وقد روى بن جرير عن وهب منبه ههنا اثر غريب عجيب قال وهب رحمه الله
ان في الجنة شجرة تسمى طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها زهرها
رياط ودرقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت وترابها كافور وحصاها
مسك تخرج من اصلها انهار الخمر واللبن والعسل وهي مجلس لاهل الجنة فبينما هم في
مجلسهم اذ اتتهم الملائكة من ربهم يقودون نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها
كالمصابيح من حسنها وبرها كخز المرعزى من لينه عليها رحال الواحها من
ياقوت ودفوفها من ذهب وتنابلها من سندس واستبرق فينتحي لها ويقولون
ان ربنا ارسلنا اليكم لتزوروه وتسلموا عليه قال فيركبونها قال فهي اسرع

من الطير

من الطير واوطأ من الفراش نجابا من غير مهنة يسير الراكب الى جنب اخيه وهو يكلمه
وبنا جبه لا تصيب اذن راحلة منها اذن صاحبتها ولا ترتحل راحلة ترتحل الاخرى
حتى ان الشجرة لتنحني عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل واخيه قال فيأتون الى الرجل
الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروه فاذا رأوه قالوا اللهم انت السلام
ومنك السلام وحق لك الجلال والاكرام قال فيقول انا ربكم وقد صدقتكم وعدي
ومني السلام وعليكم تحيتي ومحبتي مرحبا بعبادي الذين خشوني بالغيب
واطاعوا امري قال فيقولون ربنا وما لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك
فأذن لنا بالسجود لك قال فيقول الله تعالى انها ليست بدار نصب ولا عبادة
ولكنها دار ملك ونعيم واني قد رفعت عنكم نصب العبادة فاسألوني ما شئتم
قال لكل رجل منكم امنية فيسألونه حتى ان افصرهم امنية ليقول ارزقنا فيما
اصل الدنيا في دنيانا فنقضي بقول رب فأثني من كل شيء كان في دنياهم من يوم خلقها
الى ان انتهت الدنيا فيقول الله تعالى لقد قصرت بك امنيتك ولقد سألت
دون منزلتك هذا لك مني لانه ليس في عطائي ذي نكد ولا تصريد قال ثم
يقول اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ امانيهم ولم تخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم
حتى تقصر بهم امانيهم التي في انفسهم فيكونون فيما يعرضون عليهم بزاوية مقفرة
على كل زبعة منها سرير من ياقوتة واحلة على كل سرير منها قبة من ذهب
مفوفة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة في كل قبة منها جاريتان من
الحور العين على كل جارية منهن سبعون ثوبا من ثياب الجنة وليس في الجنة لون الا
وهو فيها وريح طيب الا قد عبق بها فينفضوه وجوهها غلظة القبة
حتى يظن من يراها انها دون القبة يرى مخها من فوق سوقها كالسلك الابيض في الياقوتة
حمر بريان لهم الفضل على صحابته كفضل الشمس على الجارة او افضل ويرد لها قبل ذلك
ثم يدخل اليها فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان لوالله ما ظننا ان الله خلق من

ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم الى منزلته التي اعدت له
وقد روى هذا الاثر ابو حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد فانظروا الى مواهب ربكم
الذهبي وهب لكم فاذا قباب في الرفيق الاعلى وغرف مبنية بالدر والمرجان ابوابها من
ذهب وسررها من ياقوت وفرش من سندس واستبرق ومنابر هامن نور تثور من ابوابها
وعراصها نور مثل شعاع الشمس على مثل الكوكب الدري في النهار المضيء واذا بقصور
شامخة في اعلا عليين من الياقوت يزهر نورها فلو لا انه مسخر اذا لاتمع الابصار
فما كان من تلك القصور من الياقوت الابيض فهو مفروش بالحرير الابيض وما كان فيها من الياقوت
الاخضر فهي مفروش بالحرير السندس الاخضر وما كان فيها من الياقوت الاصفر فهو
مفروش بالاجواء الاصفر وبالزمرد الاخضر والذهب الاحمر والفضة البيضاء قوائمها واركانها
من الجوهر وشرفها قباب من اللؤلؤ وبروجها غرف من المرجان فلما انصرفوا الى ما اعطاهم ربهم
قربت لهم براذين من ياقوت ابيض منفوخ فيها الروح تحتها الوثائد الممهدون بيد كل
واحد منهم حكمة يزدون من تلك البراذين ولجمها واعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت
سروجها من رضوان مفروشة بالسندس والاستبرق فانطلقت بهم تلك البراذين
تزفهم فينظرون رياض الجنة فلما انتهوا الى رياضها وجدوا الملائكة قعودا على
منابر من نور ينظرونهم لهم ويصافحونهم ويهنئونهم كسيارة ربهم فلما دخلوا قصورهم
وجدوا فيها جميع ما تظاهرت به عليهم وما سألوا وتمنوا واذا على كل باب قصر من تلك
القصور اربعة جنان ذواتا افنان وجنتان مدهامتان وفيهما عينان نضاختان
وفيهما من كل فاكهة زوجان وحور مقصورات في الخيام فلما تبوؤا واختاروا المقيم
واستقروا قرارهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما عدربكم حقا قالوا نعم وربنا قال اهلا وسهلا
ثواب ربكم قالوا ربنا رضانا فارض عنا قال فبرضائي عنكم احللتكم داري ونظرتم الى
وجهي فعند ذلك قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا
دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وهذا
سياق عجيب واثر غريب وليعضه شواهد في الصحيحين قال خالد بن معدان ان
في الجنة شجرة يقال لها طوبى ضروع كلها ترضع صبيان اهل الجنة رواه مسقط
المرأة يكون في نهر من انهار الجنة يتغلب فيه حتى يقوم يوم القيمة فيشفع يعني رواه حاتم
ابن ابي

قوله

ابن ابي حاتم قوله آخذ بعنان فرسه في سبيل الله اي جهاد المشركين قوله اشعث مجرور
بالفتحة لانه اسم لا ينصرف للوصف دون الفعل ورأسه مرفوع على الفاعلية
وهو طابر الشعر اشغله الجهاد في سبيل الله عن الشعث بالادهان وتسريح الشعر قوله
مغبرة قدماه هو بالجر صفة ثانية لعبد قوله ان كان في الحراسة هو بكسر الكاف اي
حماية الجيش عن ان يهجم العدو عليهم قوله كان في الحراسة اي غير مقصر فيها ولا غافل
وهذا اللفظ يستعمل في حق من قام بالامر على وجه الكمال قوله وان كان في الساقة
كان في اي في مؤخرة الجيش اي يقلب نفسه في مصالح الجهاد فكل مقام يقوم فيه ان كان
ليلا او نهارا رغبة في ثواب الله وطلبا لمرضاته ومحبة لطاعته قال ابن الجوزي وهو
حامل الذكر لا يقصد القتل وقال الخليلي في المغني انما ذكر الحراسة والساقة لانهما اشد مشقة انتهى
اقيم لا يتقدم مقامهم وانما ذكر في الحراسة والساقة لانهما اشد مشقة انتهى
وفيه فضل الحراسة في سبيل الله قوله ان استأذن لم يؤذن له الخ استئذان على الامراء
ونحوهم لم يؤذن له لانه لا جاه لهم عند هم ولا منزلة لانه ليس من طلابها وانما يطلبها عند
الله لا يقصد بعلمه سواه قوله وان شفع بفتح اوله وثانيه لم يشفع بفتح الفاء مشددة
اي اوالحاله الحال ان يشفع في امر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته غمة الامراء وهمهم
وروى الامام احمد ومسلم عن ابي امامة مرفوعا رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو
اقسم على الله لابره قال الحافظ فيه تركي حب الرياسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع
انتهى وروى الامام احمد ايضا عن مصعب بن عبد الله بن الزبير قال قال عثمان رضي الله عنه
وهو يخطب على منبره اني محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمتغني
ان احدثكم به الا الظن بكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة في سبيل الله
افضل من الف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة
عبد الله بن المبارك قال محمد عبد الله بن محمد قاضي نصيبين حدثني محمد بن ابرهيم بن ابي
سكينة انه اطلع عليه عبد الله بن المبارك بطرسوس وهو عائد الخروج وانشدها

هذه الابيات

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا ... لعلمت انك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... انف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه فقال صدق ابو عبد الرحمن ونصحني ثم قال انت ممن يكتب الحديث قلت نعم قال الى اكتب هذا الحديث فاملاه علي الفضيل بن عياض حدثنا منصور بن المعتمر عن ابو صالح عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله علي عملا انال به ثواب المجاهدين في سبيل الله قال هل تستطيع ان تصلي فلا تفتر وتصوم فلا تفطر فقال يا رسول الله ان اضعف من ان استطيع ذلك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم فو الذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله اما علمت ان فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك الحسنات

باب من اطاع العلماء والامراء في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم ارباباً من دون الله

لقول تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فسر هذا في حاشية المصنف رحمه الله بما عند ترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قوله ص وقال ابن عباس رضي الله عنه لو يشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم تقولون قال ابو بكر وعمر تركون قوله يوشك بضم اوله وكسر الشين المعجمة اي يقرب ويسرع فهذا القول هو الذي اجاب به ابن عباس رضي الله عنهما من قال ان ابا بكر

وعمر

وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة الى الحج ويريان ان افراد الحج افضل وما هو معنى هذا وكان ابن عباس يرى ان التمتع بالعمرة الى الحج واجبا ويقول اذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة اشواط فقد حل فعمرته شاء ام ابى الحديث سراقة بن مالك حين امرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعلوها عمرة ويحلوا اذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة فقال سراقة يا رسول الله العامنا هذا ام للابد قال بل للابد والحديث الذي في الصحيحين وحينئذ فلا عذر لمن استفتى ان ينظر في مذاهب العلماء وما استدل به كل امام ويأخذ بما قوي عنده ما دل عليه الدليل اذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلك كما قال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية وللبخاري ومسلم وغيرهما انه النبي صلى الله عليه وسلم قال لو استقبلت من امري ما استدبرت ما اهديت ولولا ان معي الهدي لاحللت هذا لفظ البخاري في حديث عائشة رضي الله عنها وفي حديث جابر افعلوا ما امرتكم فلولا اني سقت الهدي لفعلت مثل الذي امرتكم في عدة احاديث تقدم بيد قول ابن عباس ويلهم فلهذا قال ابن عباس ما عارضوا الحديث برأي ابو بكر وعمر يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء اقول الحديث وقال الامام الشافعي رحمه الله اجمع العلماء على ان من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد وقال الامام مالك رحمه الله ما منا الا راد ومرد ود عليه الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وكلام الائمة في هذا كثير وما زال العلماء رحمهم الله تعالى يجتهدون في الوقائع فمن اصاب منهم فله اجران واخطأ فله اجر وكما في الحديث لكن اذا استبان لهم الدليل اخذوا به وتركوا اجتهادهم واما اذا لم يبلغهم الحديث او لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عندهم فيما يظهر لهم حديث او ثبت ولم يعارض او مخصص ونحو ذلك فحينئذ يسوغ للعالم ان يجتهد وفي عصر الائمة الاربعة رحمهم الله تعالى تماما طلب الاحاديث ممن هي عنده بالمعنى والسماع ويسافر الرجل في طلب الحديث الى الامصار عدة سنين ثم اعني الائمة بالتصانيف ودونوا

الاحاديث ورووها باسانيدها وبينوا صحيحها من حسنها من ضعيفها والفقهاء صنفوا
في كل مذهب وذكروا حجج المجتهدين فسهل الامر على طالب العلم وكل امام يذكر الحكم بدليله
عنده وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على ان من بلغه الدليل فلم ياخذ به
تقليدا لامامه فانه يحب الانكار عليه بالتغليظ الذي لغته الدليل وقال الامام احمد حدثنا
احمد بن عمرو البزار حدثنا زياد بن ايوب حدثنا ابو عبيدة الحداد عن مالك بن دينار
عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ليس من احد الا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فجميع الانكار على كل من ترك الدليل لقول احد من العلماء كائنا
كان ونصوص الائمة على هذا وانه لا يسوغ التقليد الا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل
فيها يرجح اليه من كتاب ولا سنة فهذا الذي عناه بعض العلماء بقوله لا انكار في مسائل
الاجتهاد وانما ينكر على من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه كما قاله ابن عباس ومالك وابو
حنيفة والشافعي واحمد وذلك مجمع عليه كما تقدم في كلام الشافعي رحمه الله تعالى قوله ص
وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى
رأي سفيان والله تعالى يقول فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او
يصيبهم عذاب اليم الذي في الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قول
ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك شرح هذا الكلام من الامام احمد رحمه الله رواه
عنه الفضل بن زياد وابو طالب قال الفضل عن احمد نظرت في المصحف في
حديث طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاث وثلاثين موضعا ثم جعل يتلو فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة الآية فذكر ان قول الفتنة الشرك الى قوله
فيهلك ثم جعل يتلو هذه الآية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية قال ابو طالب
عن احمد وقيل له ان قوما يدعون الحديث ويذهبون الى رأي سفيان وغيره
فقال اعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته يدعونه ويذهبون
الى رأي سفيان وغيره قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم اتدري ما الفتنة الفتنة الكفر قال الله تعالى والفتنة اكبر من القتل

فيدعون

فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغلبهم هواهم الى الرأي ذكر ذلك عنه شيخ الاسلام
رحمه الله تعالى قولهم عرفوا الاسناد الى اسناد الحديث وصحته فاذا صح اسناد الحديث
فهو صحيح عند اهل الحديث وغيرهم من العلماء وسفيان هو الثوري الامام الزاهد
العابد الفقيه الفقيه وكان له اصحاب ياخذون عنه ومذهبه مشهور يذكره العلماء
رحمهم الله تعالى في الكتب التي يذكر فيها مذاهب الائمة كالتمهيد لابن عبد البر والاستذكار
له وكتاب الاشراف على مذاهب الاشراف لابن المنذر والمحلى لابن حزم والمغني لابي محمد
عبد الله بن احمد بن قدامة الحنبلي وغير هؤلاء فقول الامام احمد رحمه الله عجبت لقوم
عرفوا الاسناد وصحته الخ انكار منه لذلك وانه يقل الى زيغ القلوب الذي يكون
به المرء كافرا وقد عمت البلوى بهذا المنكر خصوصا ممن ينتسب الى العلم فتصبوا
الى الميل في الصد عن الاخذ بالكتاب والسنة وصدوا الناس عن متابعة الرسول صلى
وتعظيم امرهم ونهيهم فمن ذلك قولهم لا يستدل بالكتاب والسنة الا المجتهد والاجتهاد
قد انقطع او نقول هذا الذي قلدته اعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه ونحو
ذلك من الاقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى
والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ وغيره في الائمة مخالفة وتبع قوله بدليل فما من
امام الا والذي بعده بقرن من العلم الا كان فالواجب على كل مكلف اذا بلغه الدليل من كتاب الله
وسنة رسوله وفهم معنى ذلك ان ينتهي اليه ويعمل به وان خالفه من خالفه كما قال تعالى
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء وقال تعالى انا انزلنا
عليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله وقد تقدم حكاية الاجماع على ذلك وبيان ان المقلد ليس من
اهل العلم وقد حكى ايضا ابن عمر بن عبد البر وغيره الاجماع على ذلك قلت ولا
يخالف في ذلك الا جاهل جهال المقلدة لجهلهم بالكتاب والسنة ورغبتهم عنهما وهؤلاء
وان ظنوا انهم يتبعون الائمة فانهم في الحقيقة قد خالفوهم واتبعوا غير سبيلهم كما قدمنا
من قول مالك والشافعي واحمد لكن في كلام احمد رحمه الله تعالى اشارة الى ان التقليد قبل بلوغ
الحجة لا يذم وانما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول احد من الائمة وذلك انما نشأ عن

الاعراض عن هدي كتاب الله وسنة رسوله والاقبال على كتب من تأخر والاستغناء بها عن
الوحيين وهذا يشبه ما وقع من اهل الكتاب الذين قال الله فيهم اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله كما سيأتي بيان ذلك في حديث عدي رضي الله عنه فيجب
على من نصح نفسه اذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها وعرف اقوالهم فليعرضها على ما في الكتاب
والسنة فان كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب الى مذهبه كابي حنيفة رحمه الله
يذكر
دليله والحق في المسئلة واحد والائمة مثابون على اجتهادهم فللمنصف بعد
النظر في كلامهم وتأمله طريقا الى معرفة المسائل واستظهارها هذا هنا ومميزا
للصواب من الخطأ الادلة التي يذكرها المستدلون ويعرفون بذلك هو من اسعد
بالدليل من العلماء فتبعه والدليل على هذا الاصل في كتاب الله اكثر من ان يحصر وفي
السنة كذلك كما اخرج ابو داود بسنده عن اناس من اصحاب معاذ ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما اراد ان يبعث معاذا الى اليمن قال كيف تقضي اذا عرض لك قضاء قال
بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان
لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله قال اجتهد رأيي ولا آلو فقال فضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله
وساق بسنده عن الحارث بن عمرو عن اناس من اصحاب معاذ عن معاذ بن جبل رضي الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن بمعناه والائمة رحمهم الله تعالى نصوا
في البيان بل نهوا عن تقليدهم اذا استبانت السنة لعلمهم انه من العلم الذي لم يعلموه
وقد يبلغ غيرهم وذلك كثير كما لا يخفى على من نظر في اقوال العلماء قال ابو حنيفة رحمه
الله تعالى اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الراس والعين واذا جاء
عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الراس والعين واذا جاء عن التابعين رحمهم الله فنحن
رجال وهم رجال قال واذا اتت قولا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله
قيل اذا كان قول الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه قال اتركوا قولي لخبر رسول صلى الله عليه وسلم قيل اذا كان
قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة وقال الربيع سمعت الشافعي رحمه الله

يقول

يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت وقال اذا صح
الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط وقال مالك كل يؤخذ من قوله ويترك الا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم له مثل ذلك فلا عذر للمقلد بعد هذا ولو استقصينا
كلام العلماء في هذا الخرج بنا عما قصدناه من الاختصار وفيما ذكرناه كفاية لطالب
الحق فقوله لعله اذا رد بعض قوله اي قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقع في قلبه شيء
من الزيغ فيهلك نبه رحمه الله تعالى ان رد قول الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لزيغ القلب
وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة كما قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الآية قال الشيخ
الاسلام رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره فاذا كان المخالف للامر
قد حذر من الكفر والشرك ومن العذاب الاليم دل على انه قد يكون معصية الى الكفر والعذاب
الاليم ومعلوم ان افضائه الى العذاب الاليم هو مجرد فعل المعصية فاما افضاؤه الى الكفر
انما هو لما يقترن به من الاستخفاف في صوالامر كما فعل ابليس لعنه الله تعالى انتهى وقال
ابو جعفر بن جرير عن الضحاك فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة يطبع على قلبه
فلا يامن ان يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه قال ابو جعفر ذكر لنا عن بعض الكلام
فليحذر الذين يلوذون عن امره عنه ويدبرون معرضين قوله او يصيبهم في عاجل
الدنيا عذاب اليم في انفسهم موجع على خلافهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ص
عن عدي بن حاتم رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم الآية قلت انا لسنا نعبدهم قال اليس يحرمون
ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم رواه احمد
والترمذي وحسنه ش هذا الحديث قد روي من طرق فرواه ابن سعد وعبد بن حميد وابن
المنذر وبه جرير وابن ابي حاتم والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي قوله عدي بن حاتم
الطائي المشهور حاتم هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بفتح المهملة المشهور بالسخاء
والكرم قدم عدي على النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة تسع من الهجرة فاسلم وعاش مائة
وعشرين سنة وفي الحديث دليل على ان طاعة الاحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله

وهو الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله لقول الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا
اله الا هو سبحانه عما يشركون ونظير ذلك قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم الآية وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من
قلده وهم لعدم اعتبارهم الدليل اذا خالف المقلد وهو من هذا الشرك وفيهم يقولون في
ذكره واعتقاده ان الاخذ بالدليل والكتاب هذه بكرة ابيهم فعظم الفتنة ويقول
هم اعلم منا فلا ندري ولا ناخذ بالدليل الا المجتهد وربما نفى هو بدم من يعمل بالدليل ولا ريب
ان هذا من غربة الاسلام كما قال شيخنا رحمه الله تعالى في المسائل فتغيرت الاصول والنسائي
حتى الغاية فصارت عنده الاكثر عبادة الرحمان هو افضل من الاعمال ويسمونها ولاية
وعبادة الاحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال الى ان عبد قوم لبس من الصالحين وعبد
بالمعنى الثاني من هو من الجاهلية واما طاعة الامراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرع الله ورسوله
فقد عمت به البلوى قديما وحديثا في اكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا وقد قال
تعالى فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من
الله الآية وعن زياد بن حدير قال قال عمر رضي الله عنه اتعرف ما يهدم الاسلام قال لا قال
يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الائمة المضلين رواه الدارمي وجعلنا
الله واياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون قوله ص باب قول الله تعالى
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت الآية ش قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى وهذه عامة لمن عدل عن
الكتاب والسنة وتحاكم الى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ههنا وتقدم
ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في حد الطاغوت وانه كل ما تجاوز به العبد حده
من معبود او متبوع او مطاع فكل من تحاكم الى غير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد تحاكم الى الطاغوت الذي امر الله تعالى عباده المؤمنين ان يكفروا به قال الله تعالى
الا الى كتاب الله وسنة رسوله ورأيت بعض من يحكم بهما ممن كان يحكم الى غيرهما فقد تجاوز به حده

وخرج عما شرع الله ورسوله واتى منزلة لا يستحقها وكفر بكفره عبد غيره من دون الله
فانما عبد الطاغوت فان كان المصور صالحا صارت عبادة العابد له راجعة الى الشيطان
الذي امره بها كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم
فزيلنا بينهم وقال شركائهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا
عن عبادتكم لغافلين الى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون وكقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم
يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون الآية وان كان ممن يدعو الى عبادة الصالحين
نفسه او كان شجرا او حجرا او قبرا او غير ذلك مما يتخذه المشركون اصناما على صور
الصالحين والملائكة وغير ذلك فهي من الطاغوت الذي امر الله تعالى عباده ان يكفروا به
ويتبرؤوا منه ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنا من كان وهذا كله من عمل الشيطان و
تسويله فهو الذي دعا الى كل باطل وزينه لمن فعله وهذا بيان في التوحيد الذي هو معنى
شهادة ان لا اله الا الله فالتوحيد هو الكفر بكل طاغوت عبدت العابدون من دون الله كما
قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه الآية الى قوله حتى تؤمنوا
بالله وحده وكل من عبد غير الله فقد جاوز به حده واعطاه من العبادة حالا استحقه قال
الامام مالك رحمه الله الطاغوت ما عبد من دون الله وكذلك من دعا الى تحكيم غير الله ورسوله
فقد ترك ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب عنه وجعل لله شريكا في الطاعة وخالف
ما جاء به الرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امر الله تعالى به في قوله وان احكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك وقوله فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فمن خالف ما امر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم بان حكم بين الناس
بغير ما انزل الله او طلب ذكر بنا عالما بهواه وبرايه فقد خلع ربقة الاسلام والايمان من
عنقه وان زعم انه مؤمن فان الله تعالى انكر على من اراد ذلك واكذبهم في زعمهم الايمان لما في
ضمن قوله يزعمون من نفي ايمانهم فان يزعمون انما تقال غالبا لما يدعي دعوى هو فيها كاذب
لما لقنه لموجبها وعمل بما نافاها ويحقق هذا قوله وقد امروا ان يكفروا به لان الكفر بالطاغوت
ركن التوحيد كما في آية البقرة فاذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحدا والتوحيد هو اساس الايمان

الذي تصلح به جميع الاعمال وتفسد بعدمه كما ان ذلك بين في قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت و
يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى الآية وذلك ان التحاكم الى الطاغوت ايمان به قوله
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا بين تعالى في هذه الآية ان التحاكم الى الطاغوت
مما يامر به الشيطان وبينه لمن اطاعه وبين ان ذلك مما اضل به الشيطان من اضل
واكد بالمصدر ووصفه بالبعد فدل على ان ذلك من اعظم الضلال وابعاد عن الهدى
وتضمنت هذه الآية اربعة امور الاول انهم من ارادة الشيطان الثاني انه ضلال الثالث
تاكيده بالمصدر الرابع وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى فسبحان الله ما اعظم
هذا القرآن وما ابلغه وما ادله على انه كلام رب العالمين اوحاه الى رسوله الكريم
وبلغه عبده الصالح ذو الاسوة صلوات الله وسلامه عليهما قوله وإذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا تبين تعالى ان هذا
صفة المنافقين وان من فعل ذلك او طلبه وان زعم انه مؤمن فانه في غاية البعد
عن الايمان قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى هذا دليل على ان من دعي الى تحكيم الكتاب
والسنة فابى انه من المنافقين قوله يصدون لازم وهو بمعنى يعرضون لان مصدر
صدودا مما اكثر من اتصف بهذا الوصف خصوصا من يدعي العلم فانهم صدوا عما توجبه
الادلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الى اقوال من قضى اكثر اعمرهم بتقليد
الائمة الاربعة في تقليدهم انه لا يجوز تقليدهم واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على
قوله ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقول غير الشريعة هو المعتمد عند هو الذي لا
يصح الفتوى الا به فصار المتبع للرسول صلى الله عليه وسلم بين اولئك غريبا كما تقدم التنبيه على
هذا في الباب الذي قبل هذا فتدبر هذه الآيات وما بعدها يتبين لك ما وقع فيه غالب
الناس من الاعراض عن الكتاب والسنة وترك العمل به في اكثر الوقائع والله المستعان قوله ص
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال ابو العالية في الآية يعني
لا تعصوا في الارض لان من عصى الله في الارض او امر بمعصية الله فقد افسد في الارض لان
صلاح الارض وكل شيء انما هو بطاعة الله ورسوله وقد اخبر تعالى عن اخوة يوسف عليه السلام
في قولهم تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ثم ذكر عنهم انهم قالوا لابيهم استغفر

لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين فدلت الآية على ان كل معصية فساد في الارض وبمناسبة
الآية للترجمة ان التحاكم الى غير الله من اعمال المنافقين وهو من الفساد في الارض وفي الآية
التنبيه على عدم الاغترار بالرأي حتى يقيم على صحته دليلا من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
فما اكثر من يصدق بالكذب ويكذب بالصدق اذ هاه وهذا من الفساد في الارض و
يترتب عليه من الفساد امور كثيرة تخرج صاحبها من الحق وتدخله في الباطل نسأل الله العفو
والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة فتدبر ذلك فهو حال الاكثر الا من
عصمه الله ومن عليه بقوة داعي الايمان واعطاه عقلا كاملا عند ورود الشبهات وبصرا
نافذا عند ورود الشبهات وذكر فضل الله بذلك من يشاء والله ذو الفضل العظيم قوله
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال ابو بكر عن عباش في الآية ان الله بعث محمدا صلى
الله عليه وسلم الى اهل الارض وهم في فساد فاصلحهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن دعا الى خلاف ما
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو من المفسدين في الارض وقال ابن القيم رحمه الله تعالى الكبر
المغرز لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله لها ببعث
الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله فان عبادة غير الله والدعوة الى غير الله الشرك
به هو اعظم افساد في الارض بل فساد الارض في الحقيقة انما هو الشرك وفي اللغة العرب فالشرك
والدعوة الى غير الله واقامة معبود غيره او مطاع متبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اعظم
فساد في الارض ولا صلاح لها ولا لاهلها الا ان يكون الله وحده هو المطاع والمدعو له
لا لغيره والطاعة والاتباع لرسول الله وغيره انما تجب طاعته اذا امر بطاعة الرسول صلى الله
فاذا امر بمعصية وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة ومن تدبر احوال العالم وجد كل صلاح في
الارض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط
عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة الى غير الله ورسوله انتهى ووجه مطابقة هذه
الآية للترجمة ان التحاكم الى غير الله ورسوله من اعظم ما يفسد الارض من المعاصي فلا صلاح لها
الا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو سبيل المؤمنين كما قال تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت
مصيرا قوله ص ومن اصدق من الله حكما لقوم يوقنون ش
قال ابن كثير رحمه الله تعالى منكرا على من خرج من حكم الله تعالى المشتمل على كل خير والناهي عن كل شر وعدل الى

ماسواه من الآراء والاهوى والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم التتار والسياسات الموخوذة عن جنكسخان الذي وضع لهم كتابا مجموعا من احكام اقتبسه من شرائع شتى وفيها كثير من الاحكام اخذها عن مجرد نظره وصار في بنيه شرعا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ومن فعل ذلك منهم كفر بجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير قوله ومن احسن من الله حكما الخ استفهام انكاري لا احكم احسن ممن حكمه بهذا ومن هذا باب استعمال افعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة ومعناه لا حكم من الله حكما لمن عقل عن الله شرعه وآمن وايقن انه تعالى احكم الحاكمين وارحم بعباده من الوالدة بولدها العليم بمصالح عباده القادر على كل شئ الحكيم في اقواله وافعاله وشرعه وقدره وفي الآية التحذير عن حكم الجاهلية واختيار على حكم الله ورسوله ومن فعل ذلك فقد اعرض عن الاحسن وهو الحق الى ضده من الباطل قوله ص وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال النووي هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح عن الشيخ ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي في كتابه الحجة على تارك المحجة باسناد صحيح كما قال المصنف رحمه الله عن النووي ورواه الطبراني وابو بكر بن عاصم والحافظ ابو نعيم في الاربعين التي شرط لها ان تكون في صحيح الاخبار وشاهد في القرآن قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وقال قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وقوله فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهوائهم وكوهنه الآيات قوله لا يؤمن احدكم اي يكون من اهل كمال الايمان الواجب الذي وعد الله اهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار وقد يكون في درجة اهل الاساءة والمعاصي من اهل الاسلام قوله حتى يكون هواه تبعا لما جئت به الهوى بالقصر اي ما يهواه ويحبه نفسه ويميل اليه فان كان الذي تحبه وتميل اليه نفسه ويعمل به تابعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج عنه الى غيره فهذه صفة اهل الايمان المطلق وان كان بخلاف ذلك او في بعض احواله او اكثرها انتفى عنه من الايمان كالواجب كما في حديث ابي هريرة لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق

السارق حين يسرق وهو مؤمن يعني انه بالمعصية ينتفي عنه كمال الايمان الواجب وينزاح عنه في درجة الاسلام وينقص ايمانه فلا يطلق عليه الايمان الا بقيد المعصية او الفسوق فيقال مؤمن عاص او يقال هو مؤمن بالله فاسق بمعصيته فيكون معه مطلق الايمان الذي لا يصلح اسلام الا به كما قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة والادلة على ما عليه سلف الامة وائمتها ان الايمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصر فمن ذلك قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس قبل تحويل القبلة وقول النبي صلى الله عليه وسلم آمركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة ان لا اله الا الله الحديث وهو في الصحيحين والسنن والدليل على ان الايمان يزيد قوله تعالى ويزداد الذين آمنوا ايمانا فان قال الذين آمنوا فرادهم ايمانا فقد خالف من قال ان الايمان هو القول وهم المرجئة ومن قال ان الايمان هو التصديق كالاشاعرة ومن المعلوم عقلا وشرعا ان نية الحق تصديق والعمل به تصديق وقول الحق تصديق وليس مع اهل البدع ما ينافي قول اهل السنة والجماعة ولله الحمد والمنة قال الله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا فيما عملوا به في هذه الآية من الاعمال الظاهرة والباطنة وشاهده في كلام العرب قولهم رجل صادق وقد سمى الله تعالى الهوى المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم الها فقال تعالى ارءيت من اتخذ الهه هواه قال بعض المفسرين لا يهوى شيئا الا ركبه قال ابن رجب رحمه الله تعالى ما معنى الحديث فهو ان الانسان لا يكون مؤمنا كامل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي فيحب ما امر به ويكره ما نهى عنه وقد ورد القرآن بمثل هذا المعنى في غير موضع وقد ذم سبحانه من ذكره ما اوجب الله او احب ما كرهه الله فاخبر ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم فالواجب على كل مؤمن ان يحب ما احبه الله محبة توجب له الاتيان بما اوجب عليه منه فان زادت المحبة حتى لقي بما ندب اليه منه كان ذلك فضلا وان يكره ما يكره الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه فان زادت الكراهة حتى اوجبت الكف عما كرهه تنزيها كان ذلك فضلا فمن احب الله

ورسوله محبة صادقة من قلبه اوجب ذلك ان يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله
ورسوله فيرضى بما يرضى به الله ورسوله ويسخط ما يسخط الله ورسوله ويعمل بجوارحه
بمقتضى هذا الحب والبغض فان عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك بان ارتكب بعض ما
يكرهه الله ورسوله وترك ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه او القدرة عليه دل ذلك على
نقص محبته الواجبة فعليه ان يتوب من ذلك ويرجع الى تكميل المحبة الواجبة التي هي
اكمل العبادة اذا كملت جميع المعاصي تنشأ عن تقديم هوى النفس على محبة الله و
رسوله وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى فان
لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم وكذلك البدع انما نشأت من تقديم الهوى على الشرع ولهذا
سمي اهلها اهل الاهواء وكذلك المعاصي انما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه الله
اكمالا وكذلك حب الاشخاص الواجب فيه ان يكون تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
فيحب على المؤمن محبة ما يحبه الله من الملائكة والرسل والانبياء والصديقين و
الشهداء والصالحين عموما ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الايمان ان يحب
المرء لا يحبه الا لله فتحرم موالاة اعداء الله ومن يكرههم الله عموما وبهذا يكون الدين
كله لله ومن احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ومن كان حبه
وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في ايمانه الواجب فتجب
التوبة من ذلك انتهى مخلصا ومناسبة الحديث للترجمة بيان الفرق بين اهل الايمان
واهل النفاق والمعاصي في اقوالهم وافعالهم واراداتهم قوله وقال الشعبي هو عامر
ابن شرحبيل الكوفي عالم اهل زمانه وكان حافظا علامة ذا فنون كان يقول ما كتبت
سوداء في بيضاء ولا در كت خلفا في الصحابة وعاش بضعا وثمانين سنة قاله الذهبي
وفيما قاله الشعبي ما يبين ان المنافقين اشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود
والنصارى وكفرهم اشد عداوة منهم لاهل الايمان كما هو الواقع في هذه الازمنة
وقبلها من اعانة العدو على المسلمين وحرصهم على اطفاء نور الاسلام والايمان في
قلوب من في التاريخ وما وقع منهم في الوقايع عرفوا ان هذا حال المنافقين قديما

بيان المنافق يكون

وحديثا

وحديثا وقد حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم من طاعتهم والغرب منهم وحضه على جهادهم
في مواضع من كتابه قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية
وفي قصة عمر وقتله المنافق الذي طلب التحاكم الى كعب بن الاشرف اليهودي دليل على قتل من اظهر
الكفر والنفاق وكان كعب بن الاشرف هذا شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والاذى
له واظهارا لعداوته فانتقض به عهده وحل به قتله وروى مسلم في صحيحه عن عمرو سمعت جابرا
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال
محمد بن مسلمة يا رسول الله اتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال فاتاه وذكر له
ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد صدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال
انا قد اتبعناه الآن ونكره ان ندعه حتى ننظر الى اي شيء يصير امره قال وقد اردت ان
تسلفني سلفا قال فما ترهنني ترهن نساءكم قال اتنا اجمل العرب ان رهنك نساءنا قال ترهنوني
اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح قال نعم
وواعده ان يأتيه بالحارث وابي عبس بن جبير وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل
اليهم وقال سفيان قال غير عمرو وقالت امرأته اني اسمع صوتا كأنه يقطر دما قال انما هذا
محمد ورضيعه وابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لأجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف
يده الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح بسيفه فقالوا نجد
منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فناول
فشم ثم قال اتأذن لي ان اعود قال نعم فلما استمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه وفي قصة عمر بيان ان
المنافق المغموص للنفاق اذا اظهر نفاقه قتل كما في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
انما ترك قتل من اظهر نفاقه منهم تألفا للناس فانه قال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
فصلوات الله وسلامه عليه قوله ص باب من جحد شيئا من الاسماء والصفات قول الله تعالى
وهم يكفرون بالرحمن الآية شأن سبب نزول الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها
وهو ان مشركي قريش جحدوا اسم الرحمن عنادا وقالوا فلا ندعو الله اذا دعوا الرحمن انما هذا دعوا
فله الاسماء الحسنى والرحمن اسمه وصفته دل هذا الاسم على ان الرحمة وصفه سبحانه وهي من صفات

بيان انتقض

وقال له ع

وهي من صفات الكمال فاذا كان المشركون جحدوا اسما من اسمائه تعالى وهو من الاسماء التي دل على
كما السبحانه وتعالى فحقق في معنى هذا الاسم ونحوه من الاسماء يكون كذلك فان جهم بن صفوان ومن تبعه
يزعمون انها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والاشاعرة وغيرهم
فلهذا كفرهم كثير من اهل السنة قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ٭ عشر من العلماء في البلدان ٭
والله كفى الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني ٭

فان هؤلاء الجهمية وموافقيهم على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات
كماله ونعوت جلاله وبنوا هذا التعطيل على اصل باطل اصلوه من عند انفسهم قالوا هذه
الصفات هي صفات الاجسام فيلزم من اثباتها ان يكون الله جسما هذا منشأ ضلال عقولهم لم
يفهموا من صفات الله الا ما فهموه من صفات خصائص المخلوقين فشبهوا الله في ابتداء رأيهم
الفاسد بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله وشبهوه بالناقصات بل بالجمادات والمعدومات
فشبهوا وعطلوا واثبتوا وشبهوا اثباتهم بكل ناقص او معدوم فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة
من اثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته وهذا هو الذي
عليه سلف الامة وائمتها فانهم يثبتون لله ما اثبته لنفسه واثبته له رسول صلى الله عليه وسلم
اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل فان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى
حذوه فكما ان هؤلاء المعطلة ينفون عن الله ذاتا لا تشبه الذوات فاهل السنة يقولون ذلك
ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يناقضوا واذلك
المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك فبطل وتناقضوا فبطل قول المعطلين بالعقل
النقل ولله الحمد والمنة واجماع اهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وائمة المسلمين
وقد صنف العلماء رحمهم الله في الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والاشاعرة وغيرهم في تزييف
ابطال هذه البدع وما فيها من التناقض والتهافت كالامام احمد رحمه الله تعالى في رده المشهور
وكتاب السنة لابنه عبد الله وصاحب الحيدة عبد العزيز الكناني في رده على بشر المريسي
وكتاب السنة لابي عبد الله المروذي ورد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد وهو بشر المريسي
وكتاب السنة لابي بكر الخلال وابي عثمان الصابوني الشافعي وكتاب التوحيد لامام الائمة

ابن خزيمة

ابن خزيمة الشافعي وشيخ الاسلام الانصاري وابو عمر بن عبد البر النمري وخلق كثير ودون من اصحاب الائمة الاربعة
وانباعهم واهل الحديث ومن قبلهم ابو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة وشيخ الاسلام ابن تيمية واصحابه
وغيرهم رحمهم الله تعالى كلهم احمد والمنة على بقاء السنة واهلها مع تفرق الاهواء وتشعب الاراء والله اعلم

قوله وفي صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله و
رسوله علي هو امير المؤمنين ابو الحسن علي بن ابي طالب احد الخلفاء الراشدين وسبب هذا القول والله اعلم
ما حدث في خلافته من كثرة اقبال الناس على الحديث وكثرة القصاص واهل الوعظ فيأتون بعضهم
باحاديث لا تعرف من هذا القبيل فربما استنكرها بعض الناس وردها وقد يكون لبعضها اصل
ومعنى صحيح فيمنع بعض المفاسد لذلك فان رشدهم امير المؤمنين رضي الله عنه لا يحدثون عامة الناس الا
بما هو معروف ينتفع الناس في اصل دينهم واحكامه من بيان الحلال والحرام الذي كلفوا به عملا و
عملا دون ما يشغل عن ذكر عما قد يؤدي الى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم الى التكذيب لا سيما
مع اختلاف الناس في فقه وكثرة خوضهم وجدلهم وقد كان شيخنا المصنف رحمه الله تعالى
يجب ان يقرأ على الناس الا ما ينفعهم في اصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم الذي لا غناء لهم عن
معرفته وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي كالمنتظم والمرعش والبصرة لما في ذلك من
الاعراض عما هو اوجب وانفع وفيها ما الله به اعلم مما لا ينبغي اعتقاده والمعصوم من عصم الله و
كان امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ينهى القصاص عن القصص لما في قصصهم من
الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك ويقول لا يقص الا امير او مأمور وكل هذا
محافظة على لزوم السنن على الصراط المستقيم علما وعملا ونية وقصدا وتركا لكل ما كان وسيلة
الى الخروج عنه من البدع ووسائلها والله الموفق للصواب ولا حول ولا قوة الا بالله قوله

وروى عبد الرزاق عن معمر عن طاوس عن ابيه عن ابن عباس انه رأى رجلا انتفض
لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك فقال ما فرق هؤلاء
يحدثون حديثا عند محكمة ويكون عندنا متشابها انتهى قول وروى عبد الرزاق بن همام
الصنعاني المحدث صاحب المصنف احد الرواية عن معمر بن راشد صاحب
الزهري وهو شيخ عبد الرزاق يروي عن كثير او معمر بفتح الميمين وسكون العين من عروة بن
ابي عمرو بن راشد الازدي الحراني ثم اليماني احد الاعلام صاحب محمد بن همام الزهري روى عن كثير

قوله عن ابن طاوس هو عبد الله بن طاوس اليماني قال معمر كان من اعظم الناس بالعربية وقال ابن عيينة مات سنة اثنين وثلاثين ومائة قوله عن ابيه هو طاوس بن كيسان الجندي بفتح الجيم والنون الامام العلم جليل اسمه ذكوان قال ابن الجوزي قلت وهو من ائمة التفسير وممن اوعية العلم قال في تهذيب الكمال عن الوليد الموقري عن الزهري قال قدمت على عبد الملك بن مروان فقال من ابن قدمت يا زهري قال قلت من مكة قال من خلفت يسودها قلت اهلها قلت عطاء بن ابي رباح قال فمن العرب ام من الموالي قلت من الموالي قال فبم ساد هم قلت بالديانة والرواية قال ان اهل الديانة والرواية لينبغي ان يسودوا قال فمن يسود اهل اليمن قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فبم ساد هم قلت عباس بن عطاء قال انه لينبغي ذلك قال فمن يسود مصر قلت يزيد بن حبيب قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود اهل الشام قال قلت مكحول قال قلت من العرب ام من الموالي قلت من الموالي عبد نوبي اعتقته امراة من هذيل قال فمن يسود اهل الجزيرة قلت ميمون بن مهران قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود اهل خراسان قال قلت الضحاك بن مزاحم قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود اهل البصرة قال قلت الحسن البصري قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فملك فمن يسود اهل الكوفة قال قلت ابراهيم النخعي قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من العرب فقال وملك ازهري فرجت عني واسه تسود الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطبها على المنابر والعرب تحتها قال قلت يا امير المؤمنين انما هو دين من حفظه سادومن ضيعه سقط قوله عن ابن عباس قد تقدم وهو حبر الامة وترجمان القرآن ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وروى عن اصحاب ائمة التفسير كمجاهد وسعيد ابن جبير وعطاء بن ابي رباح وطاوس وغيرهم قوله فاقرؤ هؤلاء يستفهم من اصحابه يشير الى الناس فمن بحضرة مجلسه من عامة الناس فاذا سمعوا اشكل عليهم محكم القرآن ومعناه حصل معهم فرقا وخوف فاذا سمعوا اشكل من احاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين لها فلم تحصل لهم الايمان الواجب الذي اوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين قال الذهبي

ثناء وكيع عما اسرائيل بحديث اذا جلس الرب على الكرسي فاشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال اذا رأينا الاعمش وسفيان يحدثون بهذه الاحاديث ولا ينكرونها اخرجه عبد الله في كتاب الرد على الجهمية وبما حصل فهم من عدم التعرض لتاويل ترك ما وجب من الايمان به فتشبه حالهم حال من قال الله تعالى فيهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فلا يسلم من الكفر الا من عمل بما وجب عليه في ذكر من الايمان بكتاب الله كله والتبعيض كما قال تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب آيات محكمات هن ام الكتاب الى قوله وما يذكر الا اولو الالباب فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس رضي الله عنهما تركوا ما وجب عليهم من الايمان بعالم يعرفوا معناه من القرآن وهو حق لا يزاد فيه ومن وبعضهم فهم منه غير المراد من المعنى الذي اراد الله فيحكم على غير مراده كما جرى لاهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية فهؤلاء ممن تاول القرآن بعض آيات القرآن عن وقد وقع فيهم من الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم فان الواقف من اهل البدع تحريفهم لمعنى الآيات بين معنى قول ابن عباس وسبب هذه البدع جهل اهلها وقصورهم في الفهم وعدم اخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من اهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص والتفطن لما بينها من الاختلاف بعضها ورد المتشابه الى المحكم وهذه طريقة اهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان فلله الحمد لا يحصى ثناء عليه ذكر ما رد به السلف في المتشابه قال في الدر المنثور اخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكتاب الاول ينزل على باب واحد على حرف واحد فنزل من سبعة ابواب على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه واعمل بالمتشابه واعلم بالمحكم وآمن بالمتشابه واعملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا قال واخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ قال طلب القوم التاويل فاخطؤا التاويل واصابوا الفتنة وطلبوا ما تشابه منه فهلكوا بين ذكره واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله آيات محكمات قال فيهن قوله قل تعالوا الى ثلاث آيات

ومعنى وقضى ربك ان لا تعبد والا اياه الى ثلاث آيات بعدها واخرج بن جرير من طريق ابي
عاصم عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ونا س من الصحابة رضي الله عنهم
الحكمات الناسخات التي يعمل بهن والمتشابهات المنسوخات واخرج عبد بن حميد
وبن جرير وبن ابي حاتم عن اسحق بن سويد ان يحيى بن يعمر وابا فاختة تراجعا هذه الآية
هذه ام الكتاب فقال ابو فاختة هي فيها استخرج القرآن السمه ذلك الكتاب فيها استخرجت
التوراة والسمه الله لا اله الا هو فيها استخرجت آل عمران وقال يحيى وهن اللاتي فيهن الفرائض
والامر والنهي والحلال والحرام والحدود وعماد الدين واخرج بن جرير عن محمد بن جعفر بن
الزبير قال المحكمات حجة العرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس فيها تصريف
ولا تحريف عما وضعت عليه وآخر متشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتاويل
ابتلا الله فيهن العباد كما ابتلاهم بالحلال والحرام لا يصرف الى الباطل ولا يحرف عن الحق
واخرج بن ابي حاتم عن قتادة في ام الكتاب قال هن ام الكتاب لان ليس من اهل دين
الا يرضى بهن واخر متشابهات يعني فيهما بلغنا السمه والمص والمر قلت
وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشعر بان اسم الله تعالى صفاته من المتشابه وما قال النفاة
من انها من المتشابه دعوى بلا برهان قوله ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر الرحمن انكروا ذلك الخ وروى بن جرير عن قتادة وهم يكفرون بالرحمن ذكر لنا ان نبي
الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية حين صالح قريشا كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا فرسول الله لئن كنت رسول الله ثم ظلمناك لقد ظلمناك ولكن اكتب
هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله دعنا نقاتلهم
فقال لا ولكن اكتبوا كما يريدون اني محمد بن عبد الله فلما كتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم قالت
قريش اما الرحمن فلا نعرفه وكان اهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فقال اصحابه يا رسول الله
دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون وروي ايضا عن مجاهد قال قول ارملناك
في امة قد خلت من قبلها امم الآية قال هذا ما كتب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا في الحديبية
بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا نكتب الرحمن ولا ندري ما الرحمن ولا نكتب الا باسمك اللهم قال الله
تعالى وهم يكفرون بالرحمن الآية وروي ايضا عن بن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ساجدا يا رحمن يا رحيم فقال المشركون هذا يزعم انه يدعو واحدا

كاتب لعله

وهو

وهو يدعو فمنى فمنى فانزل الله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى الآية
قوله باب قول الله تعالى يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها الآية ذكر المصنف رحمه الله
تعالى ما ذكر بعض العلماء في معناها وقال بن جرير فان اهل التاويل اختلفوا في المعني بالنعمة
فذكر عن سفيان عن السدي يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال اخرون
بل معنى ذلك انهم يعرفون ان ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وان الله
هو المنعم عليهم بذلك ولكنهم ينكرون ذلك فهذا من ان انهم وروي عن ابي مالك يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال هي المساكن والانعام وما يرزقون فيها والسرابيل الحديد و
الثياب يعرفون هذا كفار قريش ثم ينكرونه بان يقولوا هذا كان لآبائنا فورثونا اياه وقال
اخرون معنى ذلك ان الكفار اذا قيل لهم من رزقكم اقروا بان الله هو الذي يرزقهم ثم ينكرونه
بقولهم رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا ذكر الملا مثل هذا عن ابن قتيبة وهو ابو محمد عبد الله
ابن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المفيدة
المحتوية على علوم جمة اشتغل ببغداد وسمع الحديث على اسحق بن راهويه وطبقته توفي سنة
ستة وسبعين ومائتين وقال اخرون ما ذكر الملا عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي
ابو عبد الله الكوفي الزاهد عن ابيه وعائشة وبن عباس وعنه قتادة وابو الزبير والزهري
وثقه احمد وبن معين قال البخاري قال بعد العشرين ومائة يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
قال الكلبي يرياها ان يقول الرجل لو فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان ما اصبت كذا وكذا و
اختاره جرير القول الاول واختار غيره ان الآية نعم ما ذكره العلماني معناها وهو الصواب
والله اعلم **قوله قال مجاهد هو شيخ التفسير الامام الرباني ابو الحجاج مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم**
قال عن نيف وثمانين سنة يقول عرضت القرآن على بن عباس ثلاثين عرضة اقفه عند كل آية و
اسأله فيم نزلت وكيف معناها توفي سنة اثنتين ومائة وله ثلاث وثمانون سنة
رحمه الله قوله وقال ابو العباس هو شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
الحراني الحنبلي رحمه الله تعالى بعد حديث زيد بن خالد وتقدم في باب ما جاء في الاستغفار
بالانواء قال وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف انعامه الى غيره ويشرك به قال
بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذق فاذا ذهبوا يذكرون من هو جار على السنة
كثيرا انتهى وكلام شيخ الاسلام يدل على ان حكم هذا الآن حكم فيمن نسب النعم الى غير الله الذي انعم بها

واسند اسبابها الى عينه كما حصل مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا قال شيخنا رحمه الله وقد اجتماع الضدين في الغلب وتسميته هذا الكلام انكار النعمة قوله باب

قول الله تعالى فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون الند المثل والنظير وجعل الند لله هو صرف انواع العبادة او شيء منها لغير الله كحال عبدة الاوثان الذين يعتقدون فيهم دعوة ورجوه انه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم وهذه الآية في سياق قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الى قوله فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى وفي تفسير قال ابو العالية لا تجعلوا لله عدلاً شركاء وهذا هكذا قال الربيع وانس وقتادة والسدي وابو مالك واسمعيل بن ابي خالد وقال ابن عباس فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون لا تشركوا بالله شيئاً من الانداد التي لا تنفع ولا تضر وانتم تعلمون انه ربكم لا يرزقكم غيره وقد علمتم انه الذي يدعوكم الى سوء اليم من توحيد الله هو الحق الذي لا شك فيه وكذلك قال قتادة وعن قتادة ومجاهد لا تجعلوا لله انداداً قال الكفاءة من الرجال تطيعونهم في معصية الله وقال ابن زيد الانداد الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها قرابين جعلوا له وعن ابن عباس فلا تجعلوا لله انداداً قال اشياها وقال مجاهد فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون قال تعالى انه الله واحد في التوراة والانجيل وذكر حديثاً في معنى هذه الآية الكريمة وهو في مسند احمد عن الحارث الاشعري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله امر يحيى ابن زكريا عليه السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن ويامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن وانه كاد ان يبطيء بهن فقال له عيسى ان الله عز وجل امرك بخمس كلمات ان تعمل بهن وتامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تبلغهم واما ان ابلغهم فقال يا اخي اني اخشى ان سبقتني بهن ان اعذب او يخسف بي فجمع يحيى بن زكريا بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعدوا على الشرف فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله امرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وامركم ان تعملوا بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته الى غير سيده فايكم يسره ان يكون عبده كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وامركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا

واعلم

وامركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وامركم بالصدقة فان مثل ذلك مثل رجل اسره العدو فشدوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال هل لكم ان افتدي نفسي منكم فجعل يفدي نفسه بالقليل والكثير حتى فك نفسه وامركم بذكر الله كثيراً فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في اثر فاتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وان العبد احصن ما يكون اذا كان في ذكر الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا آمركم بخمس الله امرني بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يراجع ومن دعى بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم قالوا يا رسول الله وان صلى وصام قال وان صلى وصام وزعم انه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله وهذا حديث حسن واشهد في هذه الآية ان الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وهذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع وهي دالة على ذلك بطريق الاولى وورد في القرآن الدال على هذا كثير جداً وسئل ابو نواس عن ذلك فانشد

تأمل في نبات الارض وانظر ... الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... باحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بان الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز

فيا عجباً كيف يعصى الاله ... ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد

قوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الانداد هو الشرك اخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك يا فلان وتقول لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص ولولا البط في الدار لاتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا يجعل فيها فلانا هذا كله به شرك رواه ابن ابي حاتم بين ابن عباس رضي الله عنه ان هذا كلام شرك وهو الواقع اليوم على السن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك فتنبه لهذه الامور فانها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه لكونه اكبر من الكبائر وهذا من ابن عباس رضي الله عنه تنبيه بالادنى من الشرك على الاعلى قوله وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك رواه الترمذي وحسنه وصححه
الحاكم قوله فقد كفر او اشرك يحتمل ان يكون مقام الراوي ويحتمل ان تكون او لمعنى الواو فيكون قد
كفر واشرك ويكون من الكفر الذي هو التغليظ دون الكفر الاكبر كما هو في الشرك الاصغر وورد مثل هذا
عن ابن مسعود بهذا اللفظ قوله وقال رسول الله من حلف بالامانة فليس منا رواه ابو داود
من حلف بغير الله صادقا فانه يكره ان يحلف بالله كاذبا اخرجه البخاري في الادب المفرد
وفيه للعلوم ان الحلف بالله كاذبا من الكبائر لكن الشرك اكبر منه
الكبائر وانه كان اصغر كما تقدم بيان ذلك فاذا كان هذا حال الشرك الاصغر فكيف بالشرك الاكبر
الموجب للخلود في النار كدعوة غير الله والاستغاثة بموات رغبة اليه والتوكل عليه به كما هو حال الاكثر
من ينتسب الى هذه الامة في هذه الازمان وما قبلها من تعظيم القبور باتخاذها اوثانا والبناء عليها واتخاذها
مساجد وبناء المشاهد باسم الميت لعبادته من دون الله وتعظيمه والاقبال عليه بالقلب بدعائه
والاعتراف والاعمال وقد عظم البلوى بهذا الشرك الذي لا يغفره الله وتركه اما دل عليه القرآن
العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل اليه قال الله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون فبين سبحانه من الكتاب الى قوله ويشهد على انفسهم انهم كانوا كافرين
كفرهم تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه في حوائجه من دون الله في دار الدنيا وقد قال تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال تعالى قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فالدعاء لله لكونه
وهو لا يملك لغيره ضرا ولا رشدا
من اخبر انه مكلف الامر في الغوايا بلغ به الآخرة واخبر بانه نفسه صلى الله عليه وسلم فعاملوه بما
نهاهم عنه من الشرك بالله والتعلق على غير الله حتى قال قائلهم

يا اكرم الخلق مالي من الوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ان لم تكن في معادي آخذا بيدي ... فضلا وقد زلة القدم
فان من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فانظر الى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد انه لا ملجأ له الا بعباده ولياذه بغير الله وانظر الى هذا
الاطراء العظيم الذي نهاه عنه الحلة في الاطراء الذي هي عنه صلى الله عليه وسلم بقوله لا تطروني كما
اطرت النصارى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه مالك وغيره وقد قال تعالى
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك فانظر الى هذه المعارضة العظيمة
للكتاب والسنة والملحادة لله ورسوله وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي تقوم به كثير خصوصا
من يدعي العلم والمعرفة وقد قرأت هذه المنظومة ونحوها على الذكي تعظيمها من الزيادات فانا لله
وانا اليه راجعون قوله وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ما
شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان رواه ابو داود باسناد صحيح على

وذلك لان المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه لكنها انما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبا ولا
تعقيبا ولا تسوية المعطوف بالخالق شرك ان كان في الاصغر مثل هذا فهو اصغر وان كان في الاكبر فهو اكبر
كما قال تعالى عنهم في النار الا خطأ تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين فبين ان تسوية المعطوف
بثم فان المعطوف بها يكون متراخيا عن المعطوف عليه فلا محذور في كونه صار تابعا قوله
وعن ابراهيم النخعي انه كان يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول بالله ثم بك قال
ويقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان رواه وكيع وقد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا
يجوز من ذلك وهذا انما هو في الحكم الظاهر الذي لم يقترن به ما يدل على قصد الشرك
واما في حق الاموات الذين لا حيلة لهم عن انفسهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا يقال في حقهم
شيء من ذلك فلا يجوز التعلق عليه بشيء مما يوجد في الوجوه والقرآن بين ذلك وينادي بأعلى صوته
كل عاقل اذا اشار الى شيء من ذلك او رغب اليهم احد بقلبه له او عمل الباطن والظاهر فمن تدبر
القرآن ورزق فهما صار على بصيرة من دينه وبالله التوفيق والقرآن لا يؤخذ قسرا وانما يؤخذ

باب ذكر شيء من بعض ما جاء في قوله

اخي لن تنال العلم الا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وارشاد استاذ وطول زمان

واعظم هذه الستة من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ وانعب نفسه في تحصيل ما وقف عليه من شاء وجعله عباده
كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولقد احسن العلامة بن القيم رحمه الله حيث قال

واجل داء قاتل وشفائه ... امران في التركيب متفقان
نص من القرآن او من سنة ... وطبيب ذاك العالم الربان
والعلم اقسام ثلاث مالها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم باوصاف الاله وفعله ... وكذا الاسماء للرحمن
والامر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي ... جاء بها المبعوث بالقرآن
والعبد ما فارقه من مذهبه ... بسوى هما الا من الهذيان

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا لا تحلفوا
بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض وعلي رضي الله عنه ليس من الله في شيء رواه ابن ماجه
بسند حسن قوله لا تحلفوا بآبائكم تقدم النهي عن الحلف بغير الله عموما قوله من حلف بالله فليصدق
هذا مما اوجبه الله على عباده وحضهم عليه في كتابه قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

وقاله الصادق والصادق فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وهو حال اهل البر كما قال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين الى قوله اولئك الذين صدقوا الآية قوله ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله اما اذا لم يمين له بحكم الشريعة على خصمه الا اليمين فاحلفه فلا يجب انه يجب عليه الرضا واما اذا كان فيما يجري بين الناس معاقد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك فهذا من حق المسلم على المسلم ان تقبل منه اذا حلف معتذرا او معتبرا تاما ومن حقه عليه ان يحسن به الظن اذا لم يتبين خلافه كما في الاثر عن عمر رضي الله عنه ولا تضعنن بكلمة خرجت من اخيك وانت تجد لها في الخير محملا وقوله من التواضع والالفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي ينجبها الله تعالى على من لم يفهم وذكر له اسباب اجتماع القلوب على الله طاعة الله ثم انه يدخل في حسن الخلق الذي هو اثقل ما يوضع في ميزان العبد كما في الحديث وضده من مكارم الاخلاق فاعمل ايها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى ومع الخلق من القيام بحقوقه وحقوق عباده ولا خال السر على السلامة وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم فان فيه من الضرر حالا ومآلا ما لا يطر بالبال ولا يدور بالخيال والوسط هذه الامور وذكرنا ورد فيها مذكور في كتب الادب وغيرها فمن رزق ذلك والعمل بما ينبغي العمل به منه وترك ما يجب تركه من ذلك دل على توفيق ربه وحسن عقله والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين والله اعلم قوله باب قول ما شاء الله وشئت عن قتيلة ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحلف ان يقول ورب الكعبة وان يقول ما شاء الله ثم شئت رواه النسائي وصححه كذا قوله عن قتيلة بمثناة مصغرة بنت صيفي الانصارية صحابية جاهلية لها حديث في سنن النسائي وهو المذكور في الباب ورواه عنها عبد الله بن بريدة الجعفي وهو قليل الحديث من جاد به كاثنا ما كان وفيه النهي عن الحلف بالكعبة مع انها بيت الله التي عجبها وقصدها بالحج والعمرة وفرضه وهذا يبين ان النهي عن الكبرى بالله علم لا يصلح منه شيء لاحد من المخلوقين بمقرب ولا بنبي مرسل ولا للكعبة التي بيت الله فما ظنك بغيرها وانت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة بدلا منها مما لا يعتد عليه الا الله ومن المعلوم ان الكعبة لا تنفع ولا تضر وانما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها وجعلها للامة قبلة فالطواف بها مشروع والحلف بها ودعاءها ممنوع فمن ايها المكلف بما شرع وهاك ما يمنع وان خالفك من خالفك من جهلة الناس الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا قوله انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة العبد وان كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله ولا يقدر ان يشاء شيئا الا اذا كان الله قد شاءه كما قال تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين وفي هذه الآية والحديث الرد على القدرية والمعتزلة اتباع القدرية الذين ينفون العبد مشيئة

تخالف

جامعة الملك عبد العزيز

تخالف ما اراده الله تعالى وشاءه وسيأتي ما يبطل قولهم في باب سبعا جاء في منكري القدر انشاء الله تعالى وانهم مجوس هذه الامة واما اهل السنة والجماعة فيمسكون بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره ويعتقدون ان مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله في كل شيء يوافق ما شرعه الله ويحبه من افعال العباد وغيرهم فالكل بمشيئته وارادته فما وافق ما شرعه رضيه واحبه وما خالفه كرهه من العبد كما قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر الآية وقوله بيان ان الحلف بالكعبة شرك فان النبي صلى الله عليه وسلم اقر اليهودي على قوله انكم تشركون قوله ولابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده هذا يقرر ما تقدم من ان هذا شرك لوجود التسوية في العطف بالواو قوله اجعلتني لله ندا فيه بيان ان من سوى العبد بالله ولو في ادنى الاشياء فقد جعل لله شريكا ام ابى خلافا لما يقوله اكثر الجاهلين بما يختص بالله تعالى من عبادته وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه ومن رد الله بعض ما نهى عنه في الدين قوله ولابن ماجه عن الطفيل اخي عائشة لامها قال رأيت كاني اتيت على نفر من اليهود فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فلما اصبحت اخبرت بها من اخبرت ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال هل اخبرت بها احدا قلت نعم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان طفيلا رأى رؤيا اخبر بها من اخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا وان انهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده من قول الطفيل اخي عائشة لامها هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة اخو عائشة لامها صحابي له صحبة عند ابي داود وغيره وترجم المصنف الباب وهذه الرؤيا حق اقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بمقتضاها فنهاهم ان يقولوا ما شاء الله وشاء محمد امرهم ان يقولوا ما شاء الله وحده وهذا الحديث والذي قبله امرهم فيه ان يقولوا ما شاء الله وحده ولا ريب ان هذا اكمل في الاخلاص والبعد عن الشرك من ان يقولوا ثم شاء فلان ففيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد بكل وجه فالبصيرة نجار النفس اعلا مراتب الكمال في مقام التوحيد والاخلاص قوله كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها ورد في بعض الطرق انه كان يمنعه احياءهم وبعد هذا الحديث الذي حدثه الطفيل عن رؤياه خطبهم صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك نهيا بليغا مما زاد صلى الله عليه وسلم يبلغهم حتى اكمل الله لهم الدين واتم لهم النعمة وبلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه على آله وصحبه اجمعين وفيه معنى قوله صلى الله عليه وسلم

الزنا الصلاة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فلت وان كانت الزنا من اشهى وصي يثبت
بها ما يثبت بالوحي احرى ونهاها والله اعلم قوله باب في سب الدهر فقد اذى الله
وقول الله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقال
العلامة بن كثير في تفسيره يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكارهم للمعاد
وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ما ثم الا هذه الدار يموت قوم ويعيش
آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله من ينكر من العرب للمعاد ويقول الفلاسفة الالهيون
منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقول الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع المعتقدون ان العالم
في كل سنة وثلاثين الف سنة يعود كل شيء الى ما كان عليه وزعموا ان هذا قد تتكرر دورات لا تتناهى
فكابروا المعقول وكذبوا المنقول وقد قالوا وما يهلكنا الا الدهر قال الله تعالى وما لهم بذلك
من علم ان هم الا يظنون اي ينتحلون ويتخيلون فاما الحديث الذي اخرجه صاحب الصحيح وابو داود
والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يسب بني آدم الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل و
النهار وفي رواية لا تسبوا الدهر فاني انا الدهر وفي رواية لا يقولن احدكم يا خيبة الدهر
فاني انا الدهر ارسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما قال في شرح السنة حديث متفق
على صحته اخرجاه من طريق معمر وابن عيينة عن ابي الزهري ومعناه ان العرب في الجاهلية
النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع
الدهر وارماهم الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع
سبهم الى الله عز وجل اذ هو الفاعل في الحقيقة لا الدهر الذي يصنع عوناً فنهوا عن سب الدهر انتهى
باختصار وقد اورده ابن جرير بسياق غريب جدا بهذا الطريق قال كان اهل الجاهلية يقولون
انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه وقالوا ما هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ويسبون الدهر فقال الله عز وجل بئس ذو بني
ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وكذا رواه ابو حاتم
عن احمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن بن عيينة مثله ثم روى يونس عن ابن وهب عن
الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى يسب
الدهر ابن آدم وانا الدهر بيدي الليل والنهار واخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث
يونس بن يزيد وقال محمد بن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل استقرضت عبدي فلم يعطني ويسبني عبدي وادهراه
وانا الدهر قال الشافعي وابو عبيد وغيرهما من الائمة في تفسيره قوله لا تسبوا الدهر فان الله
هو الدهر كانت العرب في جاهليتها اذا اصابتهم شدة او بلاء او ملامة قالوا يا خيبة الدهر

فيسبونه

فيسندون تلك الافعال الى الدهر ويسبونه فانما فاعلها هو الله فكانهم انما سبوا الله فنهوا عن ذلك
في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر لا لان الدهر لا اعتبار لان الله هو الذي يعينونه ويسندون الله تلك الافعال هذا
احسن ما حملت في تفسيره وهو المراد والله اعلم وقد غلط من خرجه من المتأخرين من الظاهرية في عد الدهر
من الاسماء الحسنى اخذا من هذا الحديث انتهى وقد تبين معناه في الحديث بقوله اقلب الليل والنهار
وتلبيسه تصرفه تقافيه بما يحبه الناس ويكرهونه وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رحمه
الله وقد بين بعلم منه وحكمه لا يشاركه في ذلك غيره ما كان وما لم يكن فما لوجد ضد ذلك
حمد في الحالتين وحسن الظن به سبحانه وتعالى والرجوع اليه بالتوبة والانابة قال تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون وقال هو الذي يسيركم في البر والبحر الآية ونسبة الفعل الى
الدهر وهو كثير كما في اشعار المولدين كابن المعتز والمتنبي وغيرهما وليس من سب
الدهر وصف السنين بالشدة ونحو ذلك لقول تعالى ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد الآية قال بعض الشعراء

ان الليالي من الزمان معولة ... تطوي وتنشر بينها الاعمار

فعصاهن مع لهو مطولة ... وطوالهن مع السرور قصار

اعوام وصل كاد ينسى طيبها ... ذكر النوى فكانها ايام

ثم انقضت تلك السنون واهلها ... فكانهن وكانهم احلام

وقول الآخر

باب المسمى بقاضي القضاة ونحوه

ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة اشارة الى النهي
عن التسمي بقاضي القضاة قياسا على ما في حديث الباب لكونه يشبهه في المعنى فنهى عنه
قوله في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخنع اسم عند الله رجل
تسمى ملك الاملاك لا ملك الا الله قيل لان هذا اللفظ انما يصدق على الله تعالى فهو ملك الاملاك لا
ملك اعظم ولا اكبر منه مالك الملك ذو الجلال والاكرام وكل ملك في الدنيا فهو عارية
يسرع زوالها الى المعبد وهو الله تعالى ينزع الملك من ملوك الدنيا قهرا وينزع الملك منه تارة فيصير لا حقيقة
له سوى اسم زال مسماه ورب العالمين ملكه دائم كامل لا انتهاء له يملك القسط بحفظه ويرفعه
ويحفظ على عباده اعمالهم بعلمه سبحانه وتعالى وملائكته الحفظة عليهم فيجازي كل عامل بعلمه ان خيرا
فخير وان شرا فشر اللهم تملكك كله وملك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله اسألك من الخير كله واعوذ بك من الشر كله

قوله قال سفيان يعني بن عيينة مثل شاهان شاه عند العجم وهذا نقل به عن سفيان لانه عبارة عن بلغة العجم قوله وفي رواية اغيظ رجل على الله بتشديد الغين المعجمة من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض فيكون بغيضا الى الله مقضوبا عليه والله اعلم قوله واخبثه وهو بدل ايضا على ان هذا خبث عند الله فاجتمعت في حقه هذه الامور لتعاظمه في نفسه وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من اعظم التعظم فتعظم في نفسه وتعظيم الناس له بالسوء باهل وضعه عند الله يوم القيمة فصار من اخبث الخلق وابغضهم الى الله واحقرهم لان الخبث البغيض عند الله يكون يوم القيمة احقر الخلق واخبثهم لتعاظمه في نفسه على خلق الله بئس الله قوله اخنع يعني اوضع هذا هو معنى اخنع فيفيد ماذكرناه في معنى اغيظ انه يكون حقيرا بغيضا عند الله وفيه التحذير من كل ما فيه تعاظم كما اخرج ابو داود عن ابي مجلز قال خرج معاوية رضي الله عنه على ابن الزبير وابن عامر وجلس بين ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احب ان يقتعد له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وعن عبد الرحمن بن ابي بكرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا على عصاه فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم بعضها لبعض قوله اغيظ رجل هذا من الصفات التي تمر كما جاءت وليس في ما ورد في الكتاب والسنة من ذلك الا وجب اثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل كما تقدم في اول كلام واحد وهذا هو قول اهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة وهذا التفرق والاختلاف انما حدث في آخر القرن الثالث وما بعده كما لا يخفى على من له معرفة بما وقع للامة من التفرق والاختلاف وبالله التوفيق الصراط المستقيم والله المستعان قوله باب احترام اسماء الله وتغيير الاسم لاجل ذلك عن ابي شريح انه كان يكنى ابا الحكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو الحكم واليه الحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال ما احسن هذا فما لك من الولد قوله عن ابي شريح قال في خلاصة التهذيب هو ابو شريح الخزاعي اسمه خويلد بن عمرو اسلم يوم الفتح له عشرون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث وروى عنه ابو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة قال ابن سعد مات بالمدينة سنة ثمان وستين وقال الشارح اسمه هانئ بن يزيد الكندي قال الحافظ وتبعه ابن يونس والطبراني قال المزي قوله يكنى الكنية ما صدر باب وام ونحو ذلك واللقب ما ليس كذلك كزين العابدين ونحوه وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو الحكم واليه الحكم فهو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي انزل على انبيائه ورسله

وما قضته الادلة فيها حكم مما انزل على نبيه من الكتاب والحكمة وقد يسر الله معرفة ذلك لاكثر العلماء وهذه الامة نائية لا تجتمع على ضلالة فاذا العلماء وان اختلفوا في بعض الاحكام فلا بد ان يكون المصيب فيهم واحدا ممن رزقه الله تعالى الفهم واعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من الخطأ اقوال العلماء بل ذلك بفضله وعلى عليه واحسانه اليه فما احلها من عطية فقال الله من فضله قوله واليه الحكم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وقال تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية فالحكم لله هو الحكم الذي في كتابه والحكم لرسوله هو الحكم الذي في حياته والى سنته بعد وفاته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد رأيي فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله الى ما يرضي رسول الله فعاد من اجل على الصحابة بالاحكام ومعرفة الحلال والحرام ومعرفة احكام الكتاب والسنة ولهذا ساغ له الاجتهاد واذا لم يجد للقضية حكما في كتاب الله ولا في سنة رسوله بخلاف ما يقع اليوم وقبله من اهل التفريط في الاحكام ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله فعلى ان الاجتهاد يسوغ له مع الجهل باحكام الكتاب والسنة وهيهات وما يوم القيمة فلا يحكم بين الخلق الا الله جل وعز اذا نزل لفصل القضاء بين العباد فيحكم به خلقه بعلمه وهو الذي لا يخفى عليه خافية من اعمال بني آدم خلقه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها والحكم يوم القيامة انما هو بالحسنات والسيئات فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته ان كان له حسنات وان لم يكن حسنات اخذ من سيئات المظلوم فطرح على سيئات الظالم لا يزيد على هذا بمثقال ذرة ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة قوله وان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال ما احسن هذا فالمعنى والله اعلم انه ابا شريح لما عرف منه قومه انه صاحب انصاف وتحر للعدل بينهم ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين صار عندهم مرضيا وهذا هو الصحيح لان حداره على ارضا لا على الاسلام ولا على احكام القرآن واهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا على الاستناد الى وضاح اجاهليه من احكام كبرائهم واسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة كما قد يقع اليوم كثيرا لكل الطوغيت الذين لا يلتفتون الى حكم الله ورسوله وانما المعتمد عندهم ما حكموا به اهواءهم وآراءهم وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة ممن لا يسوغ تقليده فيعتمد على قول من قلده وترك ما هو الصواب الموافق لاصول الكتاب والسنة والله اعلم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكبرهم الولد قال شريح وعلمه عبد الله قال فمن اكبرهم قلت شريح قال فكانت ابا شريح قوله فكانت ابا شريح فيه تقديم الاكبر بالكنية وغيرها غالبا وجاء في غير هذا حديث والله اعلم قوله

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله او القرآن او الرسول اي فقد كفر قوله وقول الله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية قال الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قال ابن عمر المزني

عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى مثل قرائنا هؤلاء أرغبنا
بطونا ولا كذبنا السنا ولا أجبننا عند اللقاء فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ذلك الرجل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وقد ارتحلت ناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض
ونلعب فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون إلى آخر الآية وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عبد الله بن عمر فأخبرني به هشام عن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل
في غزوة تبوك يوما في مجلس ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب
ألسنا ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المجلس كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله بن عمر فأنا رأيته
متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما
كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا
تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحوه هذا وقال
اسمه وديعة كان جاء في المنافقة منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن
عوف رجل اسمه مخشي حليف لبني سلمة فقال له مخشي بن حمير يستهزئ برأي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مظلل عليه بقبة أما يستحي هؤلاء المحسون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا
والله لكأني بكم غدا مقرنين في الحبال أرجافا وتزهيدا للمؤمنين فقال مخشي بن حمير والله إني
لوددت أني أضاغط كل رجل منا مائة جلدة وأنا نكاد نتلعب أن ينزل فينا قرآن
لمقالتكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر ادرك القوم فإنهم قد احترقوا
فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف
على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقب ناقته يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب وقال مخشي
ابن حمير يا رسول الله قد عفا الله عني فسماه عبدا فكان الذي عفا الله عنه أي بقوله تعالى إن نعف عن
طائفة منكم في هذه الآية مخشي بن حمير فسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم
بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر وقال عكرمة في تفسير هذه الآية كان رجل قد
أنسأ الله في عمره يقول اللهم إني أسمع آية أنا أعمى بها تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم
فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فقال فأصبح يوم
اليمامة فما أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره قوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم أي بهذا
المقال إن نعف عن طائفة منكم أي مخشي بن حمير نعذب طائفة أي لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم

بيان
مخشي

بأنهم

بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة انتهى قال شيخ الإسلام وفقه الله تعالى أن يقول لهم
قد كفرتم بعد إيمانكم وقولنا يقول إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولا بقلوبهم لا يصح لأن الإيمان بالقلب
مع الإصرار بالكفر بالقلب متعذر بل الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر وإن
أردت أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا الخوض واللعب وهم مع خوضهم ولعبهم ما زالوا
كذبة ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر فقد أخبر أنهم كفروا
بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر وغير اعتقاد له بل إنما كنا نخوض ونلعب وبين أن الاستهزاء بآيات
الله كفر ولا يكون هذا الكفر إلا من شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الإيمان وقع قبله منعه أن يتكلم بهذا
الكلام والقرآن يسمي أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه كقوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول
وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك الآية إلى قوله وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله
إلى قوله أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا فنفى الإيمان عن تولى عن طاعة الرسول واعتبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله
ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا فبين أن هذا من لوازم الإيمان أنهم وصف بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة
يتكلم بها وعمل يعمله وإن قصد بها خطأ الخطأ إرادة القلب فهي كالسهم الذي لا يأخذ له ويفسد
الخوف في النفاق الأكبر فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء إيمانا قبل أن يتولوا انتهى قال ابن أبي مليكة
أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه نسأل الله السلامة والعفو
العافية في الدنيا والآخرة قوله باب قول الله تعالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء
حسنة يقولن هذا لي ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها
ما يكفي ويشفي قوله قال مجاهد هذا بعملي وأنا محقوق به قال ابن عباس يريد بعملي عندي قوله على
إنما أوتيته على علم عندي قال قتادة على علم مني بوجوه المكاسب وقال الآخر وليس فيما ذكروا اختلاف وإنما هي أقوال المعنى
أهل وهذا معنى قول مجاهد وقوله على علم مني أي شرف وليس فيما ذكروا اختلاف وإنما هي أقوال المعنى
قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى وإذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بأني أهل
أن الإنسان في حال الضراء يضرع إلى الله ويتوب إليه ويدعوه ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى وقال إنما
أوتيته على علم أي لما يعلم فيما استحقني له ولولا أني عند حظيظ لما خولني هذا قال تعالى بل هي فتنة
أي ليس الأمر كما زعم بل النعمة لنختبره فيها أنعمنا عليه ليطيع أم يعصي مع علمنا
المتقدم بذلك بل هي فتنة أي اختبار ولكن أكثرهم لا يعلمون فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما
يدعون وقد قالها الذين من قبلهم أي هذه المقالة وزعم هذا الزعم والدعي هذه الدعوى كثير ممن سلف

من الاعم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اى فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون كما قال تعالى فخر اعلى قارون
انه قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين الآية ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وقال تعالى وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا وما نحن بمعذبين قوله وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان ثلاثة من بنى اسرائيل ابرص واقرع واعمى فاراد الله ان يبتليهم فبعث اليهم
ملكا فاتى الابرص فقال اى شئ احب اليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب
عنى الذى قد قذرنى الناس به قال فمسحه فذهب عنه قذره فاعطى لونا حسنا وجلدا
حسنا قال فاى المال احب اليك قال الابل او البقر شك اسحق فاعطى ناقة عشراء
قال بارك الله لك فيها قال فاتى الاقرع فقال اى شئ احب اليك قال شعر حسن و
يذهب عنى الذى قد قذرنى الناس به فمسحه فذهب عنه واعطى شعرا حسنا
قال فاى المال احب اليك قال البقر او الابل فاعطى بقرة حاملا فقال بارك الله لك
فيها فاتى الاعمى فقال اى شئ احب اليك قال ان يرد الله على بصرى فابصر به الناس
فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاى المال احب اليك قال الغنم فاعطى شاة والدا فانتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من
الغنم قال ثم انه اتى الابرص فى صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد
انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك اسئلك بالذى
اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا اتبلغ به فى سفرى فقال الحقوق كثيرة فقال
له كانى اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال ورثت لهذا المال كابرا عن كابر قال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال واتى
الاقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال
ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال واتى الاعمى فى صورته وهيئته فقال رجل
مسكين وابن سبيل قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك
اسئلك بالذى رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها فى سفرى فقال قد كنت اعمى فرد الله على
بصرى فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا اجهدك اليوم بشئ
اخذته لله فقال امسك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك
اخرجاه ش اى البخارى ومسلم وهذا حديث عظيم وفيه معتبر فان الاولياء يحمدون الله
فيما افراه ببعض ولا ينسيهم النعمة التى المنعم بها ولا اذى احب الله فيها فمحل عليها السخط واما الاعمى فانه

بنعمة الله ونسبها الى من انعم عليه بها واذى صفى الله فيها فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما
اتى باركان الشكر الثلاثة التى لا يتم الشكر الا بها وهى اقرار بالنعمة ونسبتها الى المنعم وبذلها فيما
يحب قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فحاصل الشكر هو الاعتراف بانعام المنعم عليه وحبه والخضوع
له والذل والمحبة فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا لم يشكرها ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها ايضا
ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما تجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها ومن عرف النعمة و
المنعم بها واقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويرض به وعنه لم يشكرها ايضا ومن عرفها وعرف المنعم
بها وخضع للمنعم واحبه ورضى به وعنه واستعملها فى مرضاته وطاعته فهذا هو الشاكر لها فلا بد
فى الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل الى المنعم ومحبته والخضوع له قوله قد قذرنى الناس
تكرهه رؤيته وقربه منهم قوله باب قول الله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا
له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون قال الامام احمد رحمه الله تعالى فى معنى هذه الآية حدثنا عبد
الصمد حدثنا ابن ابرهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها
ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك
من وحى الشيطان وامره وكذا رواه بن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث رواه
الترمذى فى تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه
الا من حديث عمر بن ابرهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث
عبد الصمد مرفوعا وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه الامام ابو محمد بن ابى حاتم
فى تفسيره عن ابى زرعة الرازى عن هلال بن فياض عن عمر بن ابرهيم مرفوعا وقال ابن جرير حدثنا ابن
وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن بهذا لم يشكر فيها انعاما قال وكان هذا فى بعض
اهل الملل ولم يكن بآدم حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول
هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوا ونصروا وهذا اسناد حسن عن الحسن رحمه الله قال
العوفى عن بن عباس رضى الله عنهما فى تفسيره واما الاثر فقال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة
عن بن عباس قال كان حوى تلد لآدم عليه السلام اولادا فيعبدهم لله فتسميه عبد الله وعبد الله ونحو هذا فيعيش
ويصيبهم الموت فاتاها ابليس وآدم فقال انكما لو تسميا ابنكما بغير الذى تسمانه به لعاش فولد له فسماه
عبد الحارث فذلك قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون قال العوفى عن بن عباس
فاتبعها الشيطان فقال لها هل تدرين ما يولد لك ابهيمة ام لا وزينها لها الباطل انه يخرج ميتا وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لها الشيطان انكما ان لم تسمياه فى
لتخرجن مثل ما خرج صاحباك ومات كما مات اولادك فسمياه ولدها عبد الحارث فذلك قوله تعالى فلما آتاهما

صالحا جعلا شركا فيما آتاهما وذكر ذلك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه ابن ابي حاتم وقد تلقى
هذا الاثر عن ابن عباس جماعة من اصحابه كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومن الطبقة الثانية قتادة
والسدي وجماعة من الخلف والمفسرين والمتاخرين جماعة لا يحصون كثرة قال العماد بن كثير
رحمه الله تعالى وكان اصله والله اعلم ما حكوه من اهل الكتاب قلت وهذا بعيد جدا
قوله قال ابن حزم اتفقوا على ان كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما اشبه
ذلك حاشا عبد المطلب ابن حزم هو عالم الاندلس ابو محمد علي بن احمد ابو سعيد القرطبي
والظاهري صاحب التصانيف توفي سنة ست وخمسين واربع مائة وله اثنان وسبعون سنة
وعبد المطلب هو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيبة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤي بن غالب فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن
نزار ابن معد بن عدنان وما فوق عدنان محل خلاف بين علماء السير منهم من يقف عند اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما
السلام وحكى عبد الله الفاكهي العالم المكي باسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كان اسم كل
ولد آدم عبد الله الا ان الخلق كلهم هلكوا وبقي عبد الله واسمه عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الملك
فمنهم من عبد الله وحده فنجا ومنهم من اشرك فهلك وقوله عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الملك
وصفاته واحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد لكل منهم ان يكون عبدا لما تعبد به من اسمائه
آي الرحمن عبد الرحيم في العبودية العامة واما العبودية الخاصة فانها تختص باهل الاخلاص
والطاعة كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله حاشا عبد المطلب هذا استثناء من
العموم وذكر ان المطلب اخو هاشم قدم المدينة وكان ابن اخيه شيبة هذا نشأ في اخوال ابيه
النجارية من الخزرج لان هاشما تزوج فيهم امرأة فجاءت به هذا الابن فلما شب في اخوال
وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب الى مكة بلداب وغيبة فقدم به مكة وهو رديف
مراة اهل مكة وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبد المطلب فقالوا هذا عبد المطلب فغلب عليه
هذا الاسم ولزمه فصار لا يذكر ولا يدعى الا به فلم يبق للاسم معنى مقصودا وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم انا ابن عبد المطلب وقد صار معظما في قريش والعرب ثم هو سيد قريش واشرفهم في
جاهليته وهو الذي حفر زمزم وصارت له وفي ذريته من بعده وعبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم
احد بني عبد المطلب وتوفي في حياة ابيه قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب الدرة
السنية في مولد خير البرية كان سن ابيه عبد الله حين حملت عنه آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم
نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب الى المدينة ليمتار منها تمرا لاهله فمات بها عند اخواله بني النجار
والنبي صلى الله عليه وسلم حمل كما في الصحيح انه رؤي قلب وصار النبي صلى الله عليه وسلم لما وضعته
امرؤ قال ابن جده عبد المطلب قال الحافظ الذهبي وتوفي ابوه عبد الله والنبي صلى الله عليه وسلم

ثمانية

ثمانية وعشرون شهرا وقيل اقل وقيل وهو حمل انه توفي بالمدينة وكان قد قدم بها تمارا وقيل بل
مر بها راجعا من الشام وعاش خمسا وعشرين سنة قال الواقدي وذكر ابن اسحاق الاقوال في سنه و
وفاته وتوفيت امه آمنة بالابواء وهي راجعة به صلى الله عليه وسلم الى مكة من زيارة اخواله ابني
بني عدي بن النجار وهو ابن ست سنين وقيل خمس وقيل اربع سنين فلما ماتت ام
حملته ام ايمن مولاته الى جده فكان في كفالته الى ان توفي جده فاوصى به الى عمه ابي طالب انتهى كلام الحافظ رحمه الله قوله
قد عنا نظير ما قاله عن ابن عباس في المعنى قوله رواه ابن ابي حاتم وله بسند صحيح عن قتادة
قال شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله لئن آتيتنا
صالحا قال اشفقا ان لا يكون انسانا قال شيخنا رحمه الله ان هذا الشرك في مجرد تسميته
لم نقصد حقيقته وهو محمل حسن يبعد ان وقع من الابوين من تسميتهما انهما
عبد الحارث انما هو مجرد تسمية لم يقصد تعبيده لغير الله وهذا معنى قول قتادة قال
شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته قوله باب قول الله ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه الآية عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من
احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر اخرجاه في الصحيحين فمحمد بن
سفيان بن عيينة ورواه البخاري عن ابي اليمان عن ابي الزناد عن الاعرج عند واخرجه
الحرجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله قوله
يحب الوتر هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور
الغفار الوهاب الفتاح العليم القابض الباسط الخافض
الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير
الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت
الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود
المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد
المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواحد

الواجد الماجد الاحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر
الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك
ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي
البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روي
من غير وجه عن ابي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء الا في هذا الحديث والذي عول عليه
جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء في هذا الحديث مدرج فيه وانما ذكرها كما رواه الوليد بن مسلم
وعبد الملك الصنعاني عن نمير بن حجر انه بلغه عن غير واحد من اهل العلم انهم قالوا ذكر لنا ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة
من القرآن كما رواه عن جعفر بن محمد وسفيان بن زيد اللغوي والله اعلم هذا ما ذكره العارف الكبير
في نفس ثم قال ليعلم ان الاسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه احمد
عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن ابي سلمة الجهني عن ابي القاسم عبد الرحمن عن ابيه عن
عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم
اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم
هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك
ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله عز وجل
وهمه وابدله مكانه فرحا قيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وقد اخرجه ابو حاتم بن حبان في صحيحه وقال السهيلي عن ابن عباس بلغني قوله تعالى وذروا الذين
يلحدون في اسمائه قال الحاد الملحدة ان عدوا اللات من الله واشتقوا العزى من العزيز
مجاهد وذروا الذين يلحدون في اسمائه قالوا اشتقوا اللات من الله واشتقوا العزى من العزيز
قال قتادة يلحدون يشركون وقال ابو طلحة عن ابن عباس الالحاد التكذيب واصل الالحاد
في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه الى جهة
القبلة عن سمت الخ قال ابن القيم رحمه الله تعالى وحقيقة الالحاد فيها الميل بها الاشراك
والتعطيل والكفر واسماء الرب تعالى كلها اسماء مدح وصفات تعرف بها تعالى لعباده ودلائل
كماله جل وعلا وقال رحمه الله فالالحاد اما ان يجحدها او انكارها او ان يجحد معانيها
وتعطيلها او ان يجحد ثوابها عن التواب واخراجها عن الحق الى الباطل واما ان يجعلها اسماء
لهذه المخلوقات كالحاد اهل الاتحاد فانهم جعلوها اسماء لهذا الكون المشهود وهذا من جنس
حتى قال بعضهم هو المسمى بكل اسم بمعنى كل اسم ممدوح عقلا وشرعا وعرفا فان لكل اسم حمد هو

عقلا وشرعا

عقلا وشرعا وعرفا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا انتهى والذي عليه اهل السنة والجماعة
قاطبة متقدمهم ومتأخرهم اثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما يليق بجلال الله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
وان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ومثاله وكما انه يجب العلم بان الله تعالى حقيقة
لا تشبه حقيقة شيء من ذوات المخلوقين فكذلك صفات حقيقة لا تشبه شيئا من صفات المخلوقين قد قرر هذا
ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله او اولى على ظاهره ومعناه فهو جار مجرى ما يخبر به عن نفسه سبحانه وتعالى
كما قال تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساءت مصيرا وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ايضا قال جل جلاله ما يجري صفة او ضمنا على الله
تبارك وتعالى اقسام احدها ما يرجع الى نفس الذات كقولنا ذات وموجود الثاني ما يرجع الى صفات فعله كالعلم
والقدير والسميع والبصير الثالث ما يرجع الى افعاله كالخالق والرازق الرابع الثلاثة بالمحض ولا يدخل تحت نفي
اذ لا كمال في العلم المحض كالقدوس والسلام الخامس ولم يذكره اكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة اوصاف
عديدة لا تختص بصفة معينة والدال على هذا نحو العظيم المجيد الصمد فان المجيد نصف بصفات متعددة فيضاف
الكمال ونعظم يدل على هذا فانه موضوع على السعة والزيادة والكثرة ومنه استمجد المرخ والعفار واوقد النار
علفها وهو رب العرش المجيد صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا بابطال الصلاة
من لم يصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه في مقام طلب الزيادة والتعرض لسعة العطاء وكثرة الوهب ولهذا في هذا
المطلوب باسم يقتضيه كما قال الغزالي وارجى انك انت الغفور الرحيم فهذا راجع الى التوسل باسمائه وصفاته و
هو من اقرب الوسائل واحبها اليه ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي اللهم اني اسألك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فهذا سؤال
له وتوسل اليه بجملة وانه لا اله الا هو المنان فهو توسل اليه باسمائه وصفاته وبالاحق بذلك بالاجابة واعظم موقعا احدهما
من المسئول وهذا باب عظيم من ابواب التوحيد الساد سهصفة تحصل من اقتران الاسم والوصفين بالاخر وذلك
قدر زائد على مفرد بها نحو الغني الحميد الغفور القدير المجيد وكهذا غاية الصفات المقترنة والاسماء المزدوجة في
الموارد فان الغني صفة كمال وكرم كذلك والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمله فانه من اشد المعارف قوله
اجتماعها وكذلك الغفور القدير والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمله فانه من اشد المعارف قوله
قال لا تقل السلام على الله في الصحيح عن مسعود رضي الله عنه قال كنا اذا كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام هذا البخاري ومسلم وابو داود
والنسائي وفي ماجه في حديث مسعيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا اذا جلسنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان الحديث وفي آخره ذكر التشهد

احدهما

الحديث رواه احمد

الاخير رواه الترمذي من حديث الاسود بن يزيد عن ابن مسعود ذكر في الحديث سبب النهي عن ذلك بقول فان الله هو السلام ومنه السلام وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر ثلاثا ويقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وفي الحديث ان هذا هو تحية اهل الجنة مربهم تباركت وتعاليت وفي التنزيل ماتدل عليه انه ارسبحانك وتقدس السلام عليهم في الجنة كما قال تعالى سلام قول من رب رحيم ومعنى قوله ان الله هو السلام انه الله تعالى سالم من كل نقص وموصوف بكل كمال المنزه عن كل عيب ونقص قال في البدائع السلام مصدر وصف به للمبالغة في الاخبار فيعد الخبرية فيه لانتفاء نقص الجهة الانشائية وهو معنى السلام المطلوب عن التحية وقوله قولان مشهوران الاول ان السلام هنا هو الله عز وجل ومعنى الكلام ترتبت بركته عليكم ونحو هذا قول من اختار في هذا المعنى من اسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الاسماء التالي انه السلام فيصير بمعنى السلام وهو المطلوب المدعى به عند التحية ويدل على صحة هذا القول انه يقال سلام عليكم ولا يقال سلمت عليكم ولو كان اسما من اسماء الله لصح ذلك كذلك ومن صحتهم انه ليس المقصود من كل من السلام هذا المعنى فانما المقصود منه الايذان بالسلامة خبرا او دعاء قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وفصل الخطاب ان تحية المخلوق مجموع القولين فكل منهما بعض المعنى المقصود والصواب في مجموعهما وانما التباين ذكر بعضا عدة وهي التعرض لما سأله الحسنى انه سئل عن كل مطلوب بتوسل بالاسم المقتضي ذلك المطلوب المناسب لهو حتى ان الداعي متوسلا اليه فقال اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور فقد سأله بأسمين من اسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه وقال العائشة رضي الله عنها وقد سألته ما تدعو به اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم فالمغفرة كما تتعلق طلب السلامة التي هي اهم عند الرجل اتى في طلبها بصيغة اسم من اسماء الله تعالى وهو السلام الذي تطلب منه السلامة فتضمن لفظ السلام معنيين احدهما ذكر الله والثاني طلب السلامة وهو مقصود المسلم فقد تضمن سلام عليكم اسم من اسماء الله تعالى وطلب السلامة منه فتامل هذه الفائدة وحقيقة البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيب وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه فمن ذلك قولك سلمك الله وفيه دعاء للموجه عليه السلام ومنه سلم الشيء لفلان اي خلص وصح قال الله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل اي خالصا وصحيحا لا يملكه غيره ومنه السلم ضد الحرب لان كلا منهما يخلص ويسلم من اذى الآخر ولهذا بني على المفاعلة فقيل المسالمة

المشارك ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب وحقيقته الذي سلم لله وحده فخلص من دغل الشرك ودغل الذنوب والمخالفات بل هو المستقيم على محبة ربه وحسن معاملته وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذاب الله والفوز بكرامته ومن اخذ الاسلام فانما اخذ من هذه المادة لانه الاستسلام والانقياد ونحو التخلص من شوائب الشرك فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم للمولاه ليس فيه شركاء متشاكسون ولهذا ضرب سبحانه هذا مثلا للعالم الذي لله الذي لله ولشركائه به قوله الرباب

قوله اللهم اغفر لي ان شئت يعني انه ذنك لا يجوز ورود النهي عنه حديث الباب قوله لا تقولوا اللهم اغفر لي ان شئت ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له بخلاف العبد فانه قد يعطي السائل مسئلته لحاجته اليه او الخوف منه او رجائه او قصد مسئلته وهو كاره فالرائق بالسائل المخلوق ان يعلق حصول حاجته على المشيئة المحض اذا علم انه يعطيه وهو كاره بخلاف رب العالمين فانه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه وكمال جوده وكرمه وكلام فقير اليه محتاج لا يستغني عنه طرفة عين وعطاؤه كلام وفي الحديث يمين ملاء لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما في يمينه وفي لفظ الآخر الفلك يخفضه ويرفعه يقبض يعني بحكمته ويمنع بحكمته وهو الحكيم الخبير فلا يليق به ان يسأل الله تعالى ان يعزم المسئلة فان الله تعالى لا مكره له ولا يعطي عبده شيئا عن كره هذا عن عظم مسئلته وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه

ويعظم في عين الصغير صغيرها ويصغر في عين العظيم العظائم

واما هذا بالنسبة الى نفوس ارباب الدنيا فانه العبد يعطيها ما تحب ويمنعها اكثر ويعطي كرها والنفس على اغلب ما بالنسبة الى عالم هذه فليس عطاؤه بعظيم ولا ما يعطيه الله عباده فهو دائم مستمر يجود بالنوال قبل السؤال فحين وضعت النطفة في الرحم فنعم على الجنين في بطن امه دارين بربيه احسن تربية فاذا وضعته عطف اليه بقلب الوالدة به ورباه بنعمه حتى يبلغ اشده يتقلب في نعم الله حدة حياته فان كانت حياته على الايمان والتقوى ازدادت نعم الله تعالى عليه اذا توفاه الله اضعافا مضاعفة مما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا تقدر قدرها الا الله وما اعد الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين كل ما ينال العبد في الدنيا من النعم وان تعاون بعضه على بعض على يد مخلوق خير باذن الله وارادته وانما هو من الله تعالى الى عبده فالله تعالى هو المحمود على النعم كلها فهو الذي شاءها وقدرها واجراها على يد من يد وجوده وفضله فله النعمة والفضل وله الثناء الحسن قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وقد يمنح سبحانه عبده اذا شاء الحكمة وعلم بما يصلح عبده من العطاء والمنع وقد يؤخر ما شاء عبده لوقته المقدر له ليعطيه اكثر فتبارك الله رب العالمين وسلم وليعظم الرغبة

في سؤال الربيع حاجته فانه يعطي العظائم كرما وجودا واحسانا فان الله تعالى لا تعاظمه شيء اعطاه اي
ليس شيء عنده بعظيم وان عظم في نفس المخلوق لا سيما الا ما يهون عليه بذله بخلاف رب العالمين فان عطاءه
كلام انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فبمان ما لا يقدر الخلق قدره لا الدرهم ولا غيره سواء قوله
باب لا يقل عبدي وامتي ذكر الحديث الذي في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم اطعم ربك وضئ ربك واسق ربك وليقل سيدي ومولاي ولا يقل احدكم عبدي
وامتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي هذه الالفاظ المنهي عنها اذا كان سائلا تطلق لغيره فان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عنها تحقيقا للتوحيد فيها فان الشريك في اللفظ لان الله تعالى هو رب العباد جميعهم فاذا اطلق
على غيره شاركه في هذا الاسم فنهى عن ذلك وان لم يقصد به ذلك الشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى
وانما المعنى ان هذا ما كان له فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار فالنهي عنه لمادة التشريك بين
الخالق والمخلوق وتحقيقا للتوحيد وبعدا عن الشرك في اللفظ وهذا من احسن مقاصد الشريعة لما
فيه من تعظيم الرب تعالى وبعده عن مشابهة المخلوق فارشدهم صلى الله عليه وسلم الى ما يليق وقالم هذه
الالفاظ وهو قول سيدي ومولاي وكذا قول لا يقل احدكم عبدي وامتي لان العبيد عبيد الله و
الاماء اماء الله قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا فغي اطلاق هاتين
الكلمتين على غير الله شرك في اللفظ فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وادبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد
وارشده الى ان يقول فتاي وفتاتي وغلامي وهذا من باب حمايته المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد
فقد بلغ صلى الله عليه وسلم امته كلما لهم فيه منفعة وزجرهم عن كل ما فيه نقص في الدين فلا خير الا دلهم عليه
خصوصا في تحقيق التوحيد ولا شر الا حذرهم عنه صلوات الله وسلامه عليه خصوصا ما يتردد في
الشرك لفظا وبالله التوفيق قوله باب لا يرد من سأل بالله ظاهر الحديث الحديث ع
النهي عن رد السائل اذا سأل بالله لكن هذا العموم يحتاج الى تفصيل بحسب ما ورد الكتاب والسنة
فيجب اذا سأل السائل ما فيه حق بحسب الملك فيعطى من عنده ما يستحقه وجوبا فاذا [illegible]
سأل ما لا يفضل عنه فيستحب ان يعطيه على قدر حاله كذلك اذا سأل المحتاج من
ما يفضل فيجب ان يعطيه على قدر حاله وحاجته خصوصا اذا سأل بالله واما اذا سأل في لا
فضل عنده فيستحب ان يعطيه على قدر حال المسؤول لا بالضرر ولا بضرر عائلته واما ان كان محتاجا
وجب ان يعطيه ما يدفع ضرورته ومقام الانفاق من اشرف مقامات الدين وتفاوت الناس
فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود وتخلفا بقوة داعي الايمان وضعفه فمن البخل والشح فالاول

حسب

محمود ذم الكتاب والسنة والثناء منهم فيها وقد حث الله تعالى عباده على الانفاق لعظم نفعه وتعدد به وكثرة
ثوابه على تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم الاية قوله والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع
عليم وقال تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وذكر الانفاق في فصل اخر المذكور في قوله ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين الاية فذكره بعد ذكر اصول
الايمان وقبل ذكر الصلاة وذكر والله اعلم لتعدي نفعه وكثرة في الاعمال التي امر بها تعالى عباده ورغبهم
بها ووعدهم عليها الاجر العظيم قال تعالى انه المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات الى قوله
والمتصدقين والمتصدقات الآية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث اصحابه على الصدقة حتى انه نشط
للامة وحثهم على ما ينفعهم عاجلا وآجلا وقد اثنى الله سبحانه على الانصار رضي الله عنهم بالايثار فقال
تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الاية والايثار من افضل خصال المؤمن كما تقدم
هذه الآية الكريمة وقد قال تعالى ويطعمون الطعام على حبه الى قوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
والآيات والاحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدا وكان سعيد للآخرة رغبه في هذا ورغبهم التوفيق
قوله عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سأل بالله
فاعطوه ومن دعاكم فاجيبوه ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له
حتى تروا انكم قد كافأتموه رواه ابو داود بسند صحيح قوله ومن دعاكم فاجيبوه هذا من حقوق المسلم بعضهم
على بعض اجابة دعوة المسلم وتكره اسباب الالفة والمحبة بين المسلمين قوله ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه
ندبهم صلى الله عليه وسلم على المكافأة على المعروف فان المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله
كما دل عليه هذا الحديث ولا يهمل المكافأة على المعروف الا اللئام من الناس وبعض اللئام يكافئ على الاحسان
بالاساءة كما يقع ذلك كثيرا من بعضهم نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة بخلاف حال اهل التقوى
والايمان فانهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يرضاه كما قال تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم
بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اولئك
الذين سبقت لهم من الله السعادة قوله فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه
في حديث لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف فيدعو له على حسب معروفه قوله حتى تروا بضم التاء
اي تظنوا انكم قد كافأتموه ويحتمل انها مفتوحة بمعنى تعلموا ويؤيده ما في سنن ابي داود في حديث ابن عمر حتى تعلموا

فنعين الثاني للتصريح به وفيه من سألكم بالله فاجيبوه اي الى ما سأل فيكون بمعنى اعطوه وعند ابي داود من رواية ابن نهيك عن ابن عباس من سألكم بوجه الله فاعطوه وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث ومن دعاكم بالله كما في حديث ابن عمر قوله **باب لا يسئل بوجه الله الا الجنة** ذكر فيه حديث جابر رضي الله عنه رواه ابن ماجه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسئل بوجه الله الا الجنة وهذا سؤال وقوله فيه قيد رد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من الطائف الى مكة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء المأثور اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الحديث وفي حديث آخر اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات الحديث المذكور الاذكار اللهم انت اعوذ من ذكر واعوذ بعد وفي آخره اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات السموات والارض وفي وجه آخر اعوذ بوجه الله الكريم وباسم الله العظيم وكلماته التامة من شر السامة والهامة ومن شر ما خلقت اكذب ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده ومن شر الدنيا والآخرة وامثال ذلك في الاحاديث المرفوعة بالاسانيد الصحيحة او الحسان **فالجواب** ان ما ورد من ذلك فهو من سؤال ما يوجب الجنة او يمنع من الاعمال التي تمنع من الجنة فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يوجب الجنة كما في الحديث الصحيح اللهم اني اسألك الجنة وما يوجب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول او عمل بخلاف ما يختص بالدنيا كسؤال المال او الرزق او السعة في المعيشة رغبة في الدنيا مع قطع النظر عن كونه اراد به كما يعين على الآخرة فلا ريب ان الحديث يدل على المنع منه او يسأل خراب دنياه بوجه الله وعلى هذا فلا تعارض بين الاحاديث كما لا يخفى والله اعلم وحديث الباب من جملة الاحاديث دلنا القرآن في الكتاب والسنة على ان الوجه لله تعالى فانه صفة كمال وسلبه غاية النقص والتشبيه بالناقصات كسلبهم جميع الصفات او بعضها فوقعوا في اظلم مما فروا منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وطريقة اهل السنة والجماعة سلفا وخلفا الايمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل ما اثبته لنفسه في كتابه واثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ينفون عنه مشابهة المخلوق كما ان ذات الرب تعالى لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فمن نفاها فقد سلبه الكمال قوله **باب ما جاء في اللو** اي من النهي عنه عند الامور المكروهة كالمصائب اذا جرى بها القدر لما فيها من الاشعار بعدم الصبر والاسترسال على ما فات مما لا يملك استدراكه فالواجب التسليم للقدر والقيام بالعبودية الواجبة وهي الصبر على ما قدر اصاب العبد مما يكره والايمان بالقدر اصل في اصول الايمان كما تقدم وادخل المصنف رحمه الله تعالى اداة التعريف على لو وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفا كنظائرها لان المراد هذا اللفظ كما قال الشاعر

ع رويت الزبيدي اليزيد مباركا البيت

قوله

يقولون كم

قوله وقول الله تعالى لو كان لنا من الامر شيء قتلنا ها هنا الآية قال بعض المنافقين يوم احد لبعض هم وخوفهم وخوفهم قال ابن اسحق فحدثني يحيى بن عباد عن عبد الله عن الزبير عن ابيه عن عبد الله بن الزبير قال الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا ارسل الله علينا النوم فما منا رجل الا ذقنه في صدره قال فوالله اني لاسمع قول معتب بن قشير ما اسمعه كالحلم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا فحفظتها منه في ذكر الله عز وجل يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا فحفظتها منه رواه ابن ابي حاتم قال الله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لهذا قدر وقدر من امر عز وجل وحكم حتم لازم لا محيد عنه ولا مناص منه قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا اي قال القاعد بعد من الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا اي لو سمعوا منا وشاورونا عليم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي اذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي لكم ان لا تموتوا والموت لا بد آت اليكم ولو كنتم في بروج مشيدة فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين قال محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر عن جابر عن عبد الله نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي يعني انه هو الذي قال ذلك وقوله الى قوله ابا طلحة قال عشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد فجعل سيفي يسقط واخذه ويسقط واخذه وقالت طائفة الاخرى المنافقون ليس لهم الا انفسهم واجبن قوم وارغبه واخذل للحق يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية قال الله تعالى لما ذكر ما وقع من عبد الله بن ابي ومن وافقه احد قال فلا انخزل يوم احد وقال لا يدع رأي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان او كما قال انخزل معه خلق كثير كان كثيرا منهم لم يزالوا منافقين ثم تابوا وتيب عليهم وكان معهم ايمان وهو الضوء الذي ضرب الله به المثل فلما تابوا قبل توبتهم والتفافهم على الاسلام ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا وهاد المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الايمان بالجملة وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا او اكثرهم اذا ابتلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها اهل الايمان ينقص فيها ايمانهم كثيرا ويبلغ كثير منهم وهم من مظهر الردة اذا كان العدو هم على المحنة غالبا وقد رأينا من هذا وغيرنا ما فيه عبرة واذا كانت العافية او كان المسلمون ظاهرون على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون بالرسول باطنا وظاهرا لكن ايمان لا ثبات على المحنة وهذا كثير فيهم وهؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا آمنا ولم تؤمنوا لكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم اي الايمان المطلق الذي اهله هم المؤمنون حقا فاذا هذا هو الايمان اذا اطلق في كتاب الله تعالى كما قال عليه السلام في الكتاب الذي كتبه لعمرو بن حزم وان في كتاب الله تعالى كذا وسنة رسوله فلم تحصل لهم تلك عند المحن التي تعلقل الايمان من القلوب انتهى قوله وقد رأينا وغيرنا ما فيه عبرة قلت ونحن كذلك

عن انس صح

مطلب

وبيان ذكر ما فيه عبرة عند غلبة العدو ومن اعانتهم العدو علينا والطعن في الدين واظهار العورة
والشماتة والجد في اظهار نور الاسلام واظهاره لهم وغير ذلك مما يطول ذكره والله المستعان
قوله في الصحيح اي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احرص على ما
ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان من مختصر المصنف
رحمه الله هذا الحديث وتمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن
الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن اي في معاشك ومعادك والمراد الحرص
على فعل الاسباب التي تنفع العبد في دنياه واخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الاسباب الواجبة
والمستحبة والمباحة ويكون العبد في فعل الاسباب مستعينا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم
له سببه وينفعه ويكون اعتماده على الله تعالى لانه هو الذي خلق السبب والمسبب فلا ينفعه
سبب الا اذا نفعه الله به فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى ففعل السبب سنة والتوكل
على الله توحيد فاذا جمع بينهما تم مراده باذن الله قوله ولا تعجز النون نون التوكيد الخفيفة
نهاه صلى الله عليه وسلم عن العجز ودمه والعجز ممنوع شرعا وعقلا وفي الحديث الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني فاذا شدد صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث اذا اصابه ما يكره فلا يقل لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن يقول
قدر الله وما شاء فعل اي هذا قدر الله والواجب التسليم للقدر والرضا به واحتساب الثواب
عليه قوله فان لو تفتح عمل الشيطان اي لما فيها من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر وذلك ينافي
الصبر والرضا والصبر واجب والايمان بالقدر فرض قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر
من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا ايمان لمن لا صبر له وقال الامام احمد ذكر الله الصبر في تسعين
موضعا من القرآن قال شيخ الاسلام رحمه الله وذكر هذه الاباب بأسرها ثم قال في جنان لا تعجز
عن حاضر ولا تجزع من مقدور ومن الناس من يجمع كل الكتب فاذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالحرص
على النافع والاستعانة بالله والاذن يقتضي الوجوب والافعال استحباب ونهى عن العجز

وقال

وقال الله تعالى على العجز والعاجز ضد الذين لم يشهدوا فنهى عن القول الموجب للحسرة والنهي عن الجزع ملحوظ به
في مواضع كثيرة وذكر ان الانسان بين امرين امر بفعله فعليه ان يفعله ويحرص عليه ويستعين
الله ولا يعجز وامر اصيب به من غير فعله فعليه ان يصبر عليه ولا يجزع منه ولهذا قال بعض العقلاء
ابن المقفع او غيره الامور امران امر فيه حيلة فلا تجزع عنه وامر لا حيلة فيه فلا تجزع منه ولهذا
في جميع الامور لكن عند المؤمن الذي فيه حيلة هو ما امر الله به واحبه لما فاته الله لم يأمره الا بما فيه حيلة له
اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد امر كل عبد ان يفعل ما فيه حيلة وما لا حيلة في هو فيما اصيب به من غير
فعله واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمي فالافعال مثل قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ومثل قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها
ومثل قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها فمثل قوله تعالى ما كسبت كسبت وعلها
اي آثار كسبه من هذا الجنس والله اعلم والقسم الثاني ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب
كما قال تعالى ما اصابكم من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك والآية تتناول الحسنة في هاتين
الآيتين النعم والسيئة المصائب وهذا هو المتكلم اثنى في القسم الثاني واظن شيخ الاسلام رحمه الله ذكر
في هذا الموضع ولعل الناسخ اسقط والله اعلم ثم قال رحمه الله تعالى فان الانسان ليس مأمورا ان ينظر الى القدر
ما يؤمر به من الافعال ولكن عند ما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها فما اصابك مما تفعل الا دين
او تفعل غيرهم فاصبر عليه وابتغ وسلم قال تعالى ما اصابكم من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
ولهذا قال آدم لموسى اتلومني على امر قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة فحج آدم موسى لان موسى
قاله لما اذا خر عنا ونفسه الجنة فلامه على المصيبة التي حصلت بسببه فعلم ان الحامل كونها ذنبا واما كونه
لاجل الذنب كما يظنه طوائف من الناس فليس مرادا بالحديث فان آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يحول يوم التناد باتفاق الناس انتهى قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى
في تضمن هذا الحديث اصولا عظيمة من اصول الايمان احدها ان الله سبحانه موصوف بالمحبة والله يحب حقيقة
كما يليق به محبة موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت الجلال ومحبته سبحانه لعبده نوعان عامة وخاصة
فالعامة هي التي يشترك فيها جميع الخلق وهي المذكورة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المحسنين
ويحب المقسطين ويحب المتقين ويحب الصابرين ويحب الشاكرين ومنها انه محبة للمؤمنين متفاضل فيحب بعضهم اكثر
من بعض ومنها ان سعادة الانسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص هو بذل الجهد
واستفراغ الوسع فاذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودا وكمال الكلام في مجموع هذين الامرين
ان يكون حريصا وان يكون حرصه على ما ينتفع به فالحرص على ما لا ينفعه او فعل ما ينفعه بغير حرص

صوابه مقتضى حرصه

تامة من الكمال بعد وما فاته مزدوج في الخير كله في الحرص على ما ينفع وما كان حرصه لانسانه وفعله انما هو
بعونة الله ومشيئته ولهذا امره ان يستعين بالله ليجمع له مقام اياك نعبد واياك نستعين
فامره بحرصه على ما ينفعه عبادة لله تعالى ولا تتم الا بمعونته فامره ان يعبده وان يستعين به فالحرص
على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز وهذا ارشاد الى قبول وقوع المقدور الى ما هو من اعظم اسبابه
حصوله وهو الحرص على مجموع الاستعانة بهن اذ مدار الامور ببدء ومصدرها هو منه اليه
فان فاتهم احد جزئي فعله حالتان عجز وهو مفتاح عمل الشيطان فملؤه العجز الى لو ولا فائدة في لو هنا
بل هو مفتاح اللوم والعجز والتسخط والاسف والحزن وذكر كلمة عمل الشيطان فنهاه صلى الله عليه وسلم
عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح وامره بالجائه الكيسة وهي النظر الى القدر وملاحظته فانه لو قدر
له لم يغنه ولم يغلبه عليه احد فلم يبق لو هنا نفع من شهود القدر ومشيئة الرب الكائنة التي
توجب وجود المقدور وان انتفت امتنع وجوده ولهذا قال فان غلبك امر فقل قدر الله وما شاء فعل
كما ان الكيسة هذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فارشده الى ما ينفعه في الحال المتوسط بين
المطلوب في حال فوته فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد ابدا بل هو اشد اليه ضرورة
وهو يتضمن اثبات القدر وانكسار الاختيار والقيام بالعبودية ظاهرا وباطنا في حالتي
حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق انتهى قوله باب النهي عن سب الريح
عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما
تكرهون فقولوا اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما امرت
به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما امرت به صححه الترمذي ش لانها انما تهب
عن ايجاد الله تعالى وخلقه وامره لانه هو الذي اوجدها وامرها فسبها سب للفاعل وهو الله
سبحانه كما تقدم في النهي عن سب الدهر وهذا شبيه ولا يفعل الا اهل الجهل بالله ودينه وما شرع
لعباده فنهى صلى الله عليه وسلم اهل الايمان ان يقولوا اهل الجهل والكفار عند هبوب الرياح
اذا رأيتم ما تكرهون من الريح اذا هبت فارجعوا الى ربكم بالتوحيد وقولوا اللهم
انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما امرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر
ما امرت به ففي هذا عبودية لله وطاعة لله ولرسوله واستدفاع للشر وربه ونقض الفضل و
نعمته وهذا حال اهل التوحيد والايمان خلافا لحال اهل الفسوق والعصيان الذين حرموا خير
طعم التوحيد الذي هو حقيقة الايمان قوله باب قول الله تعالى يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية

يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله الآية وهذه الآية ذكر الله تعالى في سياق
قوله في ذكر وقعة احد ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم يعني اهل الايمان
والثبات والتوكل الصادق وهم الذين قال الله تعالى فيهم انصر رسوله صلى الله عليه وسلم وينجز له ما قال
وهذا قال وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف يظنون بالله غير
الحق ظن الجاهلية كما قال تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين
ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا ان الشرك لما ظهر تلك الساعة
ظنوا انها الفيصلة وان الاسلام قد باد واهله وهذا شان اهل الريب والشك اذا حصل
امر من الامور لم يضبطوه تحصل لهم هذه الامور الشنيعة عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن ابي
قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل للناس من الامر من شيء قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في
الكلام على ما تضمنته وقعة احد وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق به سبحانه بانه لا ينصر
رسوله وان امره سيضمحل وفسر ظنهم انما اصابهم لما لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة
له فيه ففسر بانكار الحكمة وانكار القدر وانكار ان تم امر رسوله صلى الله عليه وسلم وظهوره
على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون عليهم دائرة السوء وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وانما كان هو ظن السوء وظن الجاهلية وهو المنسوب
الى غير اهل الجهل وظن غير الجهلة لا يظن غير ما يليق باسمائه الحسنى وصفاته العلى وذاته
المبرأة عن كل عيب وسوء وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالالهية وما يليق بعباده
الصادقين الذي لا يخلف وعده وبكلمته التي سبقت لرسوله انه ينصرهم ولا يخذلهم ولجنده بانهم هم
الغالبون فمن ظن به بانه لا ينصر رسوله ولا يتم امره فلا يؤمن ويوشك ان يحزبه ويعلمهم ويريهم
بعد ايأسهم وظهورهم ولنه لا ينصر دينه وكتابه وانه يديل الشرك على التوحيد اذا لم
يستقر نصب معها التوحيد والحق اضمحلا لا انتفع بعده ابدا فقد ظن السوء ونسبه الى
خلاف ما يليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته فان حمده وعزته والهيته تابى ذلك فتابى
ان يديل حزبه وجنده وان تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لاعدائه المشركين
به العادلين به من ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف ربه وبيته وملكه وحكمته وكذلك من
انكر ان يكون قد رتب على ما قدره من ذلك وغيره لحكم بالغة وغايات محمودة يستحق عليها
وانه وقدره انما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هي اعجب اليه من فواتها
وان تلك الاسباب المكروهة المقتضية لها لا يخرج تقديرها عن الحكمة بل اقتضاؤها الى ما

يجب وان كانت مكروهة له فما قدرها سدى ولا شاها عبثا ولا خلقها باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار واكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فما ظنكم وفيما
يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله باسمائه وصفاته وموجب حكمته وحمده
فمن قنط من رحمته وايس من روحه فقد ظن به ظن السوء ومن جوز عليه ان يعذب اولياءه مع احسانهم
واخلاصهم وسعيهم بينهم وبين اعدائه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه يترك خلقه سدى معطلين
عن الامر والنهي ولا يرسل اليهم رسلا ولا ينزل اليهم كتبا بل يتركهم هملا كالانعام فقد ظن بظن السوء
ومن ظن انه لن يجمعهم بعد تمزقهم في بطون السباع والحواصل والقفار في دار يجازي المحسن فيها باحسانه والمسيء
باساءته وبه الى خلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسوله وان اعداءه
كانوا هم الكاذبين فقد ظن بظن السوء ومن ظن انه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصا لوجهه
على امتثال امره وابتغاء مرضاته بلا سبب من العبد وانه يعاقبه بما لا صنع له فيه ولا احتيال له
ولا قدرة ولا ارادة له في حصوله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به او ظن به انه يجوز عليه
ان يثيب اعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها انبياءه ورسله ويحريها على ايديهم
ليضلوا بها عباده وانه يحسن منه كل شيء حتى لو عذب جبريل وابراهيم خليله ومحمدا صفيه
سافلين ونعيم واستغفرهم في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه الى اعلى عليين وكلا
الامرين في الحسن سواء عنده ولا يعرف امتناع احدهما ووقوع الآخر الا بخبر صادق وقد دل
العقل الصريح على امتناع احدهما وحسن الآخر فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه اخبر عنه بنفسه وصفاته
وافعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل وترك الحق الذي اخبر به وانما ورد اليه رموزا لبعده وانه
اليه اشارات ملغزة لم يصح به وصح دائما التشبيه والتمثيل والباطل وامر الخلق
ان يتبعوا اذهانهم وقواهم وافكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه وتحريفه تاويلا بعيدا
تاويلا وتبطيلا وجمع الاضمامات المنكرة والتاويلات التي هي بالالغاز والاحاجي
اشبه منها بالكشف والبيان واحالهم في معرفة اسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على
كتابه بل اراد منهم ان يحملوا كلامه على ما يعرفونه في كلامهم خطابهم ولغتهم مع قدرته على ان
يصح لهم الحق الذي لا ينبغي التصريح به وبريحهم من الالفاظ التي وقعوا فيها في اعتقاد الباطل
فلم يفعل بل سلك بهم غير طريق البيان فقد ظن به ظن السوء فانه ان قال انه غير قادر
على التعبير عن الحق بالفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن به قدرته العجز وان قال انه قادر

ولم

جامعة الملك عبد العزيز
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

ولم يبينه وعدل عنه ابهاما وعدم التصريح بالحق الذي يعلمونه بل وقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد
فقد ظن به ذلك ومن ظن السوء ومن ظن انه وسلفه عبروا عن الحق بضد عبر عنه دون الله ورسوله
والله الهادي والحق في كلامهم وعباراتهم واما كلام اسوأ فانما نشأ من ظاهر التشبيه والتمثيل
والضلال وظاهر كلام المشبهة كذب الحارث هو الله والحق فهذا من سوء الظن به وهكذا هو عند اهل الظاهر
بالله ظن السوء ومن الظان بالله غير السوء ظن الجاهلية ومن ظن به ان يكون في ملكه ما لا يشاء ولا
يقدر على ايجاده ويكون بخلا فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه كان معطلا من الازل الى الابد عن
ان يفعل وان يتصف بصفة الفعل ثم صار قادرا عليه بعد ان لم يكن قادرا فقد
ظن به ظن السوء وهو ظن انه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات ولا اعدادها ولا النجوم
ولا بني آدم وحركاتهم وافعالهم ولا يعلم شيئا من الموجودات في الاعيان فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن به انه لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا ارادة ولا كلام يقوم به وانه لا يكلم احدا من الخلق
ولا يتكلم ابدا ولا قال ولا يقول ولا امر ولا نهى يقوم به فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه ليس
فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وان نسبة ذاته الى عرشه كنسبتها الى اسفل سافلين والى
الامكنة التي يرغب عن ذكرها وانه اسفل كما انه اعلى اذ من قال سبحان ربي الاسفل كما قال سبحان
ربي الاعلى فقد ظن به اقبح الظن واسوءه ومن ظن انه يحب الكفر والفسوق والعصيان ويحب
الفساد كما يحب الايمان والبر والطاعة والاصلاح فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه لا يحب ولا يرضى
ولا يغضب ولا يسخط ولا يعادي ولا يوالي ولا يقرب احدا من خلقه ولا يقرب احدا وان
ذوات الشياطين طرفة القرب منه كذب واحدا الملكة المقربين واولياءه المفلحين فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن به انه يساوي بين المتضادين او يفرق بين المستويين من كل وجه او يحبط
طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها فيخلد فاعلها الطائع حتى في الجحيم
ابد الآبدين تلك الكبيرة ويحبط بها جميع طاعاته ويخلده بها في العذاب كما خلد من لم يؤمن به
طرفة عين ولم يستغفره ساعة من عمره مع مساخطه ومعاداة رسله ودينه فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن ان له ولدا او شريكا او ان احدا يشفع عنده بدون اذنه او ان بينه وبين خلقه
وسائط يرفعون صوالحهم اليه وانه نصب لعباده اولياء يتقربون بهم اليه ويتوسلون
بهم اليه ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به اقبح الظن وسوءه
ومن ظن به انه يثاب ويعاقب بمعصية ومخالفة كما يثاب بطاعة والتقرب اليه فقد ظن به

خلاف حكمه وخلاف موجب اسمائه وصفاته وهو من ظن السوء ومن ظن به انه اذا ترك شيئا لاجله لم يعوضه خيرا منه او من فعل شيئا لاجله لم يعطه افضل منه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه يغضب على عبد ويعاقبه ويعذبه بغير جرم ولا سبب من العبد الا بمجرد المشيئة ومحض الارادة فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه اذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع اليه وسأله واستعان به وتوكل عليه انه يخيبه ولا يعطيه ما سأله فقد ظن به ظن السوء وظن بخلاف ما هو اهله ومن ظن به انه يشبه اذا اعصاه كما يشبه اذا اطاعه وسأله ذكره في دعائه فقد ظن به خلاف ما يقتضيه حكمته وحمده وخلاف ما هو اهله ومسألة الفعل ومن ظن به انه اذا اغضبه واستخف به واسخطه وعاصيه كم اتخذ من دونه اولياء ودعاه من دونه ملكا او بشرا حيا او ميتا يرجو بذلك ان ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه فقد ظن به ظن السوء فاقرأ الخلق بل كلهم الا من شاء الله يظنون بالله غير الحق وظن السوء فان غالب بني آدم يعتقد انه بخس الحق ناقص الحظ وانه يستحق فوق ما اعطاه ولسان حاله يقول ظلمني ربي وبخسني ما استحقه ونفسه تشهد عليه بذلك وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ومن فتش نفسه وتغلغل في طوايا هاديها كامنا كمون النار في الزناد فاقدح زنادا من شئت يتبين لك ما في زناده ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على ربه القدر وملامة له واعتراضا لحكمه فاجر به وانه كان ينبغي كذا وكذا وفتش نفسك هل انت سالم فان تنج منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا

فالبعني اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع والتمس السلامة فيه وستغفره كل وقت فظن السوء والظن السوء بنفسه التي هي اعز الاشياء عليه هو الذي اوبقها وارداها وهو الذي حال بينها وبين مطالبها ومنع كل سائر البرية عما يجلب لها الغنم ويدفع عنها الظلم وهو الذي ظن بربه ظن السوء فاحكم الحاكمين واعدل العادلين وارحم الراحمين الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وافعاله واسمائه فله الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كلها صفات كمال واسماؤه كلها حسنى وافعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل واسماؤه

فلا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيرا فكيف ظالم جان جهول
وذللها فكل سوء اتاها ورجتك الخير منها بخيل
فظن بنفسك السوء تجدها كما ذكرت ضرها كالسليل
وما بك في قضاء وخير فتلك موهبات الرب الجليل
وليس لها ولا منها ولكن ذو الرحمن فاشكر للدليل

فتستقل مسئلتك هم

قوله الظانين بالله ظن السوء قال ابن جرير في تفسيره وبعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء الظانين بالله بانه لن ينصر كذا واهل الايمان بذلك اعداءه وان يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين وذكر ان ذلك كان السوء من ظنوهم التي ذكرها في هذا الموضع يقول تعالى ذكره يعذب الله بما وصف من نفاق المنافقين والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء يعني دائرة العذاب تدور عليهم به واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء الكوفة دائرة السوء بفتح السين وقرأ بعض قراء البصرة دائرة السوء بضم السين وكان الفراء يقول الفتح افشى في السين وقيل ما تقول العرب دائرة السوء بضم السين قوله وغضب الله عليهم يقول ونالهم بغضب منه ولعنهم يقول وابعدهم فاقصاهم من رحمته واعد لهم جهنم وساءت مصيرا يقول وشاءت جهنم منزلا يصير اليها هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات وقال العماد به كثير رحمه الله تعالى وبعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء اي يتهمون الله في حكمه وينظنون بالسوء صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ان يقطعوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال تعالى عليهم دائرة السوء وقد ذكر في معنى الآية الاخرى نحو ما ذكره ابن جرير رحمه الله تعالى قوله قال ابن القيم رحمه الله تعالى الذي ذكره المصنف في المتن قطعة لا اندراج له في كلام الذي سقط من اوله الى آخره قوله باب ما جاء في منكري القدر اي من الوعيد الشديد وفي ذكر اخرج ابو داود عن عبد الغفار عن ابيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وعن عمر معه مرفوعا عن رجل من الانصار عن حذيفة وهو ابن اليماني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من عاد منهم فلا تشهدوهم جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال قوله وقال ابن عمر والذي نفسي بيده الخ حديث ابن عمر هذا اخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال كان اول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين او معتمرين فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق الله لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي فظننت ان صاحبي سيكل الكلام الي فقلت يا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا اناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم يزعمون ان لا قدر وان الامر

انه قال اذا لقيتهم فاخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان
لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض
الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت
فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرني عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه و
رسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد
الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها
باعلم من السائل قال فاخبرني عن امارتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة
العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال فانطلق فلبثت ثلاثا ثم قال يا عمر اتدري
من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل اتاكم يعلمكم امر دينكم
ففي هذا الحديث ان الايمان بالقدر فرض من اصول الايمان الستة المذكورة فمن لم يؤمن بالقدر
خيره وشره فقد ترك اصلا من اصول الدين وجحد ركنا من اركان الايمان قال الله فيه افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الآية قوله وعن عبادة بن الصامت قد تقدم ذكره في
باب فضل التوحيد وحديثه هذا رواه ابو داود ورواه الامام احمد بكماله قال حدثنا الحسن
ابن موسى حدثنا ليث عن معاوية عن ايوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة
حدثني ابي قال دخلت على عبادة وهو مريض اتخايل فيه الموت فقلت يا ابتاه اوصني واجتهد
لي فقال اجلسوني فقال يا بني انك لن تجد طعم الايمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن
بالقدر خيره وشره قلت يا ابتاه وكيف لي بالعلم بالقدر وشره قال تعلم ان ما اخطأك لم
يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرت بما هو كائن الى الابد يا بني
ان هلكت على غير هذا دخلت النار ورواه الترمذي بسنده المتصل

وقال
الى عطاء ابن ابي رباح عن الوليد بن عبادة عن ابيه نحوه وقال حسن صحيح غريب وفي هذا
الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى واحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة
كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقد قال الامام احمد رحمه الله
لما سئل عن القدر قال القدر قدرة الله وسئل ابن عقيل هذا من احمد رحمه الله
والمعنى انه لا يتمنع من قدرة الله شيء وانفاذ القدر قد جحدوا كما ان قدر الله وضلوا عن
سواء السبيل وقد قال بعض السلف ناظروهم بالعلم فان اقروا به خصموا وان جحدوه
كفروا قوله وفي المسند والسنن الى داود عن الديلمي وهو ابو بشر بالسين المهملة
وبالباء المضمومة وقيل ابو بشير بالشين المعجمة وكسر الباء وبعضهم صحف الاول واسمه
عبد الله بن ابي فيروز ولفظ ابي داود قال اتيت ابي بن كعب فقلت في نفسي بعض
هؤلاء القوم يتكلمون في القدر فلقيت عبد الله بن عمر فذكرت ذلك له فقال لو ان الله عذب
اهل سمواته واهل ارضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم ولو انفقت مثل
احد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما
اخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنت من اهل النار وقال فاتيت عبد الله
ابن مسعود فقال مثل ذلك وقال لي اتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ثم اتيت زيد
ابن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فلا تعجل حتى تفقه ثم ائت زيدا
كثير رحمه الله تعالى عن سفيان عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل عن علي بن ابي طالب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت وبالقدر
خيره وشره وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به
ورواه من حديث ابي داود الطيالسي عن شعبة عن ربعي عن علي فذكره وقد ثبت
في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب عن ابي هانئ الخولاني عن ابي عبد الرحمن
الجبلي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب مقادير الخلائق

قدر ان يخلق السموات والارض في خمسين الف سنة زاد به وهبو كان عرشه على الماء رواه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وكل هذه الاحاديث وما في معناها رد الوعيد
الشديد على عدم الايمان بالقدر وهو الحجة على الفئة القدرية المعتزلة وغيرهم ومن مذهبهم
تخليد اهل المعاصي في النار وهذا الذي اعتقدوه من اكبر الكبائر واعظم المعاصي وفي
الحقيقة اذا اعتبرنا فانه احتجاج عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة في اثبات
القدر فقد حكموا على انفسهم بالخلود في النار لانه يستحيل عادة الا زم على مذهبهم هذا
وخالفوا ما تواترت به ادلة الكتاب والسنة من اثبات القدر وعدم تخليد اهل
الكبائر من الموحدين في النار **قول باب ما جاء في المصورين** اي من عظيم عقوبة الله
لهم وعذابه وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلة وهي المظاهاة بخلق الله فرده ربه تعالى الخالق
البارىء المصور رب كل شيء ومليكه وخالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات
وجعل فيها الارواح التي تحصل بها الحيوة كما قال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فليس احد من المصورين لصور الصور على
شكل ما خلقه الله كهامة انسان او بهيمة صار مظاهيا لخلق الله فصار حاصل
الوعيد له عذابا يوم القيمة وكلف ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فصار اشد الناس عذابا
لانه ذنبه مذكور الذنوب فاذا كان هذا حكم صور صورة على مثال ما خلقه
الله تعالى من الحيوان تكليفا سوى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه وصرف
له شيئا من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل
عمل يحبه الله من العبد ويرضاه فتسويته المخلوق بالخالق بصرف ضعف له لا يستحقه
من خلقه وجعله شريكا له فيما اختص به كما وتقدس فهو اعظم ذنب عصي الله به كما ولهذا
ارسل رسله وانزل كتبه ليبان هذا الشرك والنهي عنه واخلاص العبادة بجميع انواعها
لله تعالى فمن تعالى رسله وبخ اطاعهم واهلكه بحد التوحيد واستمر على الشرك
والتنديد فما اعظم من ذنبه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه
الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق **قوله**
وسلم عن ابي الهياج الاسدي صيان بن حصين **قال قال**

لي

لي علي هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه **قوله الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم**
الا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الا سويته فيه تصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث عليا لذلك لما الصور فلمضاهاتها لخلق الله واما تسوية القبور فلما فيها من تعليتها من
الفتنة بالدنيا وتعظيمها وهو ذريعة الشرك ووسائله فصرفهم الى هذا واسئالهم من مصالح
الدين ومقاصده واجنانه ولما وقع استاهدني هذا الامر وقع المحذور ووقعت الفتنة بالدنيا
القبور وصارت محط الرحال العابدين المعظمين لها فصرفوا لاجل العبادة من الدعاء والاستغاثة
والتضرع لها والذبح لها اشد وعند ذكر شرك معظم محظور قال العلامة ابن القيم
رحمه الله وقد جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور والامر به ونهي عنه وما كان عليه
اصحابه وما كانوا عليه اهل الناس اليوم رد احد هما مضادا للآخر فنا قضا لم يحب لا
يجتمعان فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها واليها
ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد فضاهوا بها بيوت
الاصنام ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقدون عليها وقد لعن من فعل ذلك فاتخذ
عيدا وهؤلاء اتخذوها اعيادا ومناسك ويجمعون لها كاجتماعهم للعيد او اكثر ونهى عن امر
فعلوه بها كما روى مسلم عن ابي الهياج قد ذكر حديث البابي وحديث ثمامة بن شفي وهو
عند مسلم ايضا قال كنا مع فضالة بن عبيد بارض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فامر فضالة
بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وهذا لا ريب الغلو في مخالفة هذين
الحديثين يرفعونها عن الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر والكتابة
عليه كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور وان
يقعد عليها وان يبنى عليه ونهى عن الكتابة عليها كما روى ابو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه
نهى عن تجصيص القبور وان يكتب عليها قال الترمذي حديث حسن صحيح وهؤلاء لا يتخذون عليها الالواح
ويكتبون عليها القرآن وغيره ونهى ان يزاد عليها غير ترابها كما روى ابو داود عن جابر ايضا نهى ان
يجصص القبر او يبنى عليه او يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والاحجار والجص قال
ابراهيم النخعي كانوا يكرهون الآجر على قبورهم **والمقصود** ان هؤلاء المعظمين للقبور
المتخذين بها اعياد الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب ناضون

عليه

لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم محاذرين لما جاء به واعظم ذرائع اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها
وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم بتحريمه قال ابو محمد المقدسي ولو ابيح
اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولا نهى فيه افراطا في تعظيم القبور اشبه تعظيم الاصنام قال
وهو يحرم اتخاذ المساجد على القبور لنهي النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود
النصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا متفق على ولان تجصيص القبور
يشبه تعظيم الاصنام بالسجود لها والتقرب اليها وقد رويتا ان ابتداء عبادة الاصنام تعظيم
الاموات باتخاذ هم صورا والتمسح بها والصلاة عندها انتهى وقد آل الامر بهؤلاء الضلال
المشركين الى ان شرعوا للقبور وحجا ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا كما
وسماه مناسك حج المشاهد فضاهات فيه بالقبور للبيت الحرام ولا يخفى ان هذا مفارقة
لدين الاسلام ودخول في دين عباد الاصنام فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء
وقصدوه ولا بد ان في ذكر بعض المفاسد بعض ما يحذر منه فمنها اتخاذها اعيادا ومنها السفر اليها ومنها
من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدنتها وعبادها يزعمون
المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام فيرون سدنتها افضل من خدمة المساجد والدليل
لقيمها المعلة يطفئ القنديل المعلق عليها ومنها النذر لها ولسدنتها ومنها اعتقاد المشركين انها
ترد بها كيد البلاء وينصر على الاعداء وتستنزل الغيث من السماء وتغيث المكروب وتقضي الحوائج
وينصر المظلوم ويجار الخائف الى غير ذلك ومنها الدعاء عندها ومنها ايقاد السرج عليها
والمشركون عند قبورهم منها الشرك الاكبر الذي يفعل عندها ومنها ايذاء اصحابها بما يفعله
عليه السلام بكيره ما يفعل النصارى عند قبورهم وكذلك يحرم الانبياء والاولياء والمشايخ
بما يفعله اشباه النصارى عند قبورهم ويوم القيمة يتبرءون منهم كما قال تعالى ويوم
يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل
قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وءاباءهم حتى نسوا الذكر

وكانوا قوما بورا قال الله للمشركين فقد كذبوكم بما تقولون وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق الآية
وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم الآية ومنها اماتة السنن واحياء البدع ومنها تفضيلها على غيرها من المساجد
واجبها الى الله فاما عباد القبور فقصدوها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب
والعكوف بالهمة على الموتى ما لا يفعلونه في المساجد ولا قريبا منه ومنها ان النذر الذي شرع
الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو نذر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم
عليه والاستغفار وسؤال العافية فيكون النذر محنا الى نفسه والى الميت وقلب هؤلاء
المشركون الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به
وسؤالهم حوائجهم واستنزال البركة منه ونصره لهم على الاعداء وكم قد رأينا وسمعنا الى
الله منهم وآل الميت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال عن زيارة القبور
سدا للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم اذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم
ان يقولوا هجرا ومن اعظم الهجر الشرك عندها ولعنها وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكر الموت وعن ابن عباس قال
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا اهل
القبور يغفر الله لنا ولكم وانتم سلفنا ونحن بالاثر رواه الامام احمد والترمذي وحسنه غرض الزيارة
التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وعلمهم اياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده اهل الشرك
والبدع ام تجدها مضادة لذلك من كل وجه وما احسن ما قال مالك بن انس رحمه الله تعالى
لن يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود انبيائهم ونقص
ايمانهم عوضوا عن ذلك بما احدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وعموا
جانبه حتى كان احدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم واراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره
الى جدار القبر ثم دعا ونص على ذلك الائمة الاربعة انه يستقبل القبلة عند وقت الدعاء لا عند
القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيره مرفوعا الدعاء هو العبادة فجرد السلف قصدهم
فلم يقصدوا القبور ولا عندها ولا فعلوا ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء لاصحابها والاستغفار لهم والترحم
عليهم واخرج ابو داود وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا

تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم واسناده جيد ورواته ثقات
مشاهير وقوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة
فتكون بمنزلة القبور وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى واشباههم ثم
ان في تعظيم القبور واتخاذها اعيادا من المفاسد العظيمة التي لا تجهلها الا اشر ما نصب
لاجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد وتنجيه وتقبيح للشرك ولكن ما الجرح ميت
ايلام فمن المفاسد اتخاذها اعيادا والصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها و
نعفر الخدود على ثراها وعبادة اصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية
وقضاء الديون وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وغير ذلك من الطلبات التي كان عباد الا
وثان يسألونها اوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا
رأوها من كل مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤوس وارتفعت
اصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم قد ربحوا في الزيح على الحجيج واستغاثوا
بمن لا يبدي ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين
ورأوا انهم قد احرزوا من الاجر ولا اجر من صلى القبلتين فنراهم حول القبر ركعا وسجدا يبتغون
فضلا من الميت ورضوانا وقد ملئوا اكفهم خيبة وخسرانا فلغير الله بل للشيطان ما راق هذا
في العيان ومن تفع من الاصوات وتطلبه الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات
واغاثة ذوي الفاقات وعافيات ذوي العاهات والبليات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر
طائفين تشبيها بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم اخذوا في العقل و
الاستلام ارعيت الحجر الاسود وما يفعلونه وفد البيت الحرام ثم عفروا تلك الجباه والخدود
التي يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير
هناك والحلاق واستمعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقد يعطل
لذلك الوثن الغرابين وكانت صلاتهم و نسكهم ومحياهم ومماتهم لغير الله رب العالمين فلو رأيتهم
يهنئ بعضهم بعضا ويقول اجزل الله لكم اجرا وحظا فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين
ان يبيع احدهم ثوب حجه القبيح المتخلف الى البيت فيقول لا ولا نحلل كل عام هذا ولم تتجاوز
فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم اذ هي فوق ما يخطر بالبال ويدور
في الخيال وهذا مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح كما تقدم وكلمة شرا دنى الحوض العلم والفقه
يعلم انه من اهم الامور سد الذريعة الى هذا المحظور وان صاحب الشرع اعلم بعاقبة ما نهى عنه

وما ثل اليه واحكم في نهيه عنه ونوعده عليه وان الخير والهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال
في معصيته ومخالفته انتهى رحمه الله تعالى قوله باب ما جاء في كثرة الحلف اي من
الذم عنه والوعيد قوله واحفظوا ايمانكم قال ابن جرير لا نرى قولها بغير تكفير وذكر
غيره عن المغيرة عن ابن عباس يريد لا تحلفوا وقال الآخرون واحفظوا ايمانكم عن الحنث فلا
تحنثوا والمصنف اراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس فان القولين متلازمان فيلزم من
كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف وعدم التعظيم لله وغير ذلك مما ينافي
كمال التوحيد الواجب او عدمه قوله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب اخرجاه اي البخاري ومسلم و
اخرجه ابو داود والنسائي والمعنى انه اذا حلف على سلعته انه اعطي فيها كذا وكذا وانه اعطاها
بكذا وكذا وقد ظنه المشتري صادقا فيما حلف عليه فاخذها بزيادة على قيمتها والبائع
كذب وحلف فهما في الزيادة فيكون قد عصى الله تعالى فتعاقب بمحق البركة فاذا ذهبت
بركة كسبه دخل عليه من النقص اعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه وربما ذهب
بمن تلك السلعة رأسا وماله عند الله لانه لا ثواب لاطاعته وان تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها هو
الضحى الاوذهاب وعقاب قوله وعن سلمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا
يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم اشيمط زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته
لا يشتري الا بيمينه ولا يبيع الا بيمينه رواه الطبراني بسند صحيح عن سلمان لعله سلمان ابن عبد الله
اسلم مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وشهد الخندق وروى عنه ابو عثمان النهدي وشريح بن
ابن السمط وغيرهما قال النبي صلى الله عليه وسلم وسلمان منا اهل البيت ان الله يحب من اصحابي اربعة
عليا وابا ذر وسلمان والمقداد اخرجه الترمذي وابن ماجه قال الحسن كان سلمان امير اثنين
الفا يخطب بهم في عباءة يقوم على نصفها ويلبس نصفها توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ست وثلاثين
عن ثلاثمائة وخمسين سنة ويحتمل انه سلمان بن عامر الباهلي الصحابي قوله ثلاثة لا يكلمهم الله نفي كلام
الرب تعالى وتقدس عن هذا لا ينافي ثبوت الكلام الخاص بمشيئته وقدرته دليل على انه يتكلم اذا شاء وان الكلام صفة من صفاته
كماله والادلة على ذلك من الكتاب والسنة اظهر شيء وابينه وهذا هو الذي عليه اهل السنة والجماعة
من المحققين قيام الافعال به سبحانه وانه الفعال لما يريد ومع ذلك فهو قديم النوع كما تقدم
نزل متصفا به فهو حادث الآحاد قديم النوع كما يقول ذلك ائمة اصحاب الحديث وغيرهم

من اصحاب الشافعي واحمد وسائر الطوائف كما قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان
بالحروف الدالة على الاستقبال وارتفاع الدلالة على الحال والاستقبال الضا وذلك في القرآن كثير
قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فاذا قالوا لم يزل يعني الكفاية فهذا يلزم منه ان تكون الحوادث قائمة
به قلنا وهذا انكره قبلكم من السلف والائمة ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل
ولفظ الحوادث مجمل فقد يراد به الامر المضر والنقائص والعيوب ونحو ذلك ولكن يقوم به ما يشاء
من كلام وفعل ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة والقول الصحيح قول اهل العلم الذين
يقولون لم يزل الله متكلما اذا شاء كما قال عبد الله بن المبارك واحمد بن حنبل وغيرهما من ائمة السنة
انتهى قلت وهي قيام الحوادث به تعالى قيودته عليها ايجادها بمشيئته وامره
والله اعلم قوله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم فعوقبوا بهذه
الثلاث التي هي اعظم العقوبات قوله اشيمط زان صفة تخصه له وذكر لاصحاب المعصية ضعف
في عقله فدل على ان الحامل له على الذي ارتكبه من المعصية والفجور وعدم خوفه من الله وضعف الداعي
الى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه بخلاف من فعلها وهو داعي الشهوة هنيئة
قد تغلبه مع خوفه من الله ورجوعه على نفسه باللوم ولومها على المعصية فتمحى ويرجع وكذا
العابد المتكبر ليس له داع يدعوه الى الكبر لان الداعي الاكبر في الغالب كثرة المال والنعم والكبر بالسن و
العلم الفقير لا داعي له الى ان يستكبر فاعلم ستكبان مع عدم الداعي اليه يدل على ان الكبر
طبيعة له كان في قلبه فعظمت عقوبته لعدم الداعي الى هذا الخلق الذميم الذي هو من اكبر المعاصي قوله
ورجل جعل الله بضاعته بنصب الاسم الشريف اي الحلف به جعله بضاعة له لملازمته له وغلبته
عليه وهذا عمل تدل على ان صاحبها انه كان موحدا فتوحيده ضعيف واعماله ضعيفة
بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعلم مشاركة المعاصي لعظيم على الله الذي لا يباشل الله
السلامة والعافية ونعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه قوله وفي الصحيح اي صحيح
مسلم اخرجه ابو داود والترمذي ورواه البخاري بلفظ خيركم قوله عن عمران بن حصين
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم
السمن قوله خيركم اي خيار امتي قرني لفضيلة اهل ذلك القرن في العلم والايمان والاعمال الصالحة

الذين

التي يتنافس فيها المتنافسون ويتفاضل فيها العاملون فغلب الخير فيها وكثر اهله وقل الشر
فيها واهله واعتز فيها الاسلام والايمان وكثر فيها العلم والعلماء ثم الذين يلونهم فضعفوا
بظهور الاسلام فيهم وكثرة الداعي اليه والراغب فيه والقائم به وما ظهر فيه من البدع انكروا واستعظموا
وازيلت ببعثة الخوارج والقدرية واضرابهم فهذا البدع وان كانت قد ظهرت فاهلها في غاية
الذل والمقت والهوان والقتل فمن عاند منهم ولم يتب قوله فلا ادري اذكر بعد قرنه
مرتين او ثلاثا هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين رضي الله عنه والمشهور في الروايات
ان القرون الثلاثة المفضلة الثالث دون الاولين في الفضل لكثرة ظهور البدع فيه لكن و
العلم متوافرون والاسلام قبلها ظاهر والجهاد فيه قائم ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة
من الجفا في الدين وكثرة الاهوج قال ثم ان بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون
لاستخفافهم بامر الشهادة وعدم تحرزهم للصدق وذكر لقلة دينهم وضعف
اسلامهم قوله ويخونون ولا يؤتمنون يدل على ان الخيانة قد غلبت على كثير منهم واكثرهم
وينذرون ولا يوفون اي لا يؤدون ما وجب عليهم فظهور هذه الاعمال الذميمة يدل على
ضعف اسلامهم وعدم ايمانهم قوله ويظهر فيهم السمن لرغبتهم في الدنيا ونيل شهواتها
والتنعم بها وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها وفي حديث انس الآتي زمان الاواد الذي بعثت
شر منه حتى يقوم ربكم قال انس سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم فهذا الاشتراك يدل على
ظهور الشرك والبدع في كثير منهم حتى فيمن ينتسب الى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف
قلت بل قد دعوا الى الشرك والضلال والبدع وصنفوا في ذلك نظما ونثرا فنعوذ بالله من
موجبات غضبه وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم ثم يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته قلت
وهذه حال من صرف رغبته الى الدنيا ونسي المعاد فخاطر الشهادة والايمان عنده محللا
وادا ء لقلة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك وهذا هو الغالب على الاكثر والله المستعان
فاذا كان هذا قد وقع في الصدر الاول ففي ما بعده اكثر واضعاف فكن من الناس على حذر قوله
قال ابرهيم هو النخعي كما بين في رواية بتناء الشهادة والعهد وقوله صغار وذكر لكثرة
علم التابعين وقلة ايمانهم ومعرفتهم بربهم وقيامهم بوضيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه

من افضل الجهاد والدين الابه وفي هذا نظر بين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم
وذكر فضل الله تعالى فيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم **باب ما جاء في ذمة**
الله وذمة رسوله وقول الله تعالى **واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الا**
يمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا الاية قال الحماد بن كثير رحمه الله
وهذا مما امر الله به تعالى وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان ولهذا قال ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها ولا تعارضوا بين هذا وبين قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وبين
قوله ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم اي لا تتركوها بغير تكفير وفي الصحيحين انه
والله انشاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير منها وتحللتها
وقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها هذه الايمان المراد بها الايمان المنعقدة في العهود والمواثيق
لا الايمان الواردة على منع وهذا قول مجاهد في الآية يعني الحلف اي حلف الجاهلية وبذلك
جاء رواه الامام احمد عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام واي حلف
في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ومعناه ان الاسلام لا يحتاج معه الى الحلف الذي كان اهل
الجاهلية يفعلونه فان في التمسك بالاسلام حماية وكفاية عما كانوا فيه وقوله ان الله يعلم
ما تفعلون تهديد ووعيد قوله **عن بريدة** هو ابن الحصيب الاسلمي وهذا الحديث
من رواية ابنه سليمان عنه قاله في المفهم قوله **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا**
على جيش او سرية اوصاه في خاصة نفسه **بتقوى الله** تعالى فيه من الفقه تامير الامراء وو
صيتهم قال الحربي السرية الخيل تبلغ اربعمائة ونحوها والجيش ما كثر من ذلك وتقوى الله حرز يطاع
من عقوبته قلت وذلك بالعمل بما امر الله به والانتهاء عما نهى عنه قوله **ومن معه من المسلمين**
خيرا اي ووصاه بمن معه ان يفعل بهم خيرا من الرفق بهم والاحسان اليهم وخفض الجناح
لهم وترك التعاظم عليهم قوله **اغزوا باسم الله** اي شرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله
مخلصين له قلت فتكون الباء في باسم هنا للاستعانة والتوكل على الله تعالى **قاتلوا من كفر بالله**
هذا العموم يشمل جميع اهل الكفر المحاربين وغيرهم وقد خصص منهم مرأة عهد والرهبان
والنسوان ومن لم يبلغ الحلم وقد قال متصلا بهذا ولا تقتلوا وليدا وانما نهى عن قتل الرهبان
والنسوان لانه لا يكون منهم قتالا غالبا واذا كان منهم قتلا او ردا قتلوا قلت وكذلك الذراري
والاولاد قوله **ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا** الغلول الاخذ
من الغنيمة قبل قسمتها والغدر نقض العهد والتمثيل هنا التشويه بالقتيل كقطع انف

واذنه والعبث به والاختلاف في تحريم الغلول والغدر في كراهية المثلة قوله **واذا**
لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خلال او خصال الرواية بالشك
وهو وهم بعض الرواة ومعنى الخلال والخصال واحد قوله **فايتهن ما اجابوك فاقبل منهم**
وكف عنهم قيدناه عن يوثق بعلمه وتقييده بنصب الهاء الثانية على ان يجعل ما اجابوك
على اسقاط حرف الجر وهو زائد ويكون تقدير الكلام فالى ايتهن اجابوك فاقبل عنهم كما تقول
عجبت من اكرامك اياي اي من اكرامك اياي بحرف الجر قلت فيكون في نصب الهاء وجهان ذكرهما
الشارح الاول منصوب على الاشتغال والثاني على نزع الخافض قوله **ثم ادعهم الى الاسلام** كذا و
قعت الرواية في جميع نسخ مسلم ثم ادعهم بزيادة ثم والصواب اسقاطها كما ذكر في غير كتاب
حكم كمصنف ابي داود وكتاب الاموال لابي عبيد لان ذكر هو الابتداء تفسير الثلاث الخصال
وقوله **ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين** يعني الى المدينة وكان هذا في اول الامر وجوب الهجرة
الى المدينة على كل من دخل في الاسلام وهذا يدل على ان الهجرة واجبة على كل من اسلم من اهل مكة قوله
فان ابوا ان يتحولوا يعني ان من اسلم ولم يهاجر فلم يجاهد لا يعطى من الخمس ولا من الفيء شيئا وقد
اختلف فيه فقد نفى رحمه الله ان يكون في الحديث في الاعراب فلم يرهم في الفيء شيئا انما لهم الصدقة المأخوذة من اغنيائهم
فترد على فقرائهم كما ان اهل الجهاد واجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عند هم وصرف كل مال
الى اهله وسوى مالك وابو حنيفة بين المالين وجوز اصرفهما للضعيف قوله **فان ابوا فاخبرهم**
انهم يكونون كاعراب المسلمين فيه حجة لمالك واصحابه والاوزاعي في اخذ الجزية من كل كافر غير بتابي كان او غيره كتابيا كان او غيره
وذهب ابو حنيفة الى انها توخذ من الجميع الا من مشركي العرب وعبدة الموس وقال الشافعي لا توخذ الا من اهل
الكتاب جعلا كفارا وعجما وهو قول الامام احمد في ظاهر مذهبه وتوخذ من المجوس قلت لان النبي صلى
الله عليه وسلم اخذها منهم وقال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وقد اختلفوا في القدر المفروض في الجزية
فقال مالك اربعة دنانير على اهل الذهب واربعون درهما على اهل الورق وهل ينقص منها الضعيف
او لا فيه قولان وقال الشافعي فيه دينار على الغني والفقير وقال ابو حنيفة والكوفيون منهم على الغني
ثمانية واربعون درهما والوسط اربعة وعشرون درهما والفقير اثنا عشر درهما وهو قول احمد
ابن حنبل رحمه الله قال العلامي بن يوسف المصري الخيل رحمه الله تعالى
" وقاتل يهود والنصارى وعصبة المسيح ان هم سلموا الجزية اصدد " على الاذرة اثنى عشر درهما ايضا "
" واربعة من بعد عشرين زيل " لاوسطهم حالا ومنكا موسرا ثمانية مع اربعين لتستفد "
" وتسقط عن صبيانهم ونسائهم " فامنح لهم فان واعى ومعقد " وذا الفقر والمجنون او عبد سلم " ومن وجبت عليه فهلك

وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الاحرار البالغين العقلاء دون غيرهم وانما توخذ من كان تحت
قهر المسلمين لامن ناء ببلاد فيجيء بلهم الى بلاد المسلمين او حربهم قوله واذا حاصرت اهل حصن
الكلام انما هو فيه مجردا من قول من الفقهاء واهل الاصول انه المصيب في مسايل الاجتهاد واحد وهو
المعروف من مذهب مالك وغيره ووجه الاستدلال انه صلى الله عليه وسلم قد نص على ان الله تعالى حكم
معنا في المجتهد اخذ ومن وافقه فهو المصيب ومن لم يوافقه فهو مخطئ قوله واذا حاصرت اهل
حصن فاراد وك ان تجعل لهم ذمة الله الحديث الذمة العهد والخفر تنقض يقال اخفرت الرجل
اذا نقضت عهده وغدرته اجرته ومعناه انه خاف منه نقض عهدهم يعرف ذلك من قرائن احوالهم
فكانه يقول اذا وقع نقض من بعضهم كان نقض عهد الجميع كما في الاية الاخرى وان خفت من قوم خيانة
قوله دقول نافع وقد سئل عن الدعوة قبل القتال ذكر فيه ان مذهب مالك يجمع بين الاحاديث في الدعوة
قبل القتال وهو ان مالكا قال لا يقتل الكفار قبل ان يدعوا ولا تلقى غرتهم الا ان تكون بلغتهم
الدعوة فيجوز ان توخذ غرتهم وهو الذي صار اليه مالك وهو الصحيح ولان فائدة الدعوة
ان يعرف العدو ان المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية وانما يقاتلون للدين فاذا علموا
ذلك امكن ان يكون ذلك سببا جميلا لهم الى الانقياد الى الحق بخلاف ما اذا جهلوا فصولوا المسلمين
فقد يظنون انهم يقاتلون للملك وللدنيا فيزيد ولعتو وبغضا والله اعلم قوله باب ما
جاء في الاقسام على الله ذكر المصنف فيه حديث جندب بن عبد الله البجلي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان قال الله عز وجل فيه ذا الذي يتالى علي
ان لا اغفر لفلان اني قد غفرت له واحبطت عملك رواه مسلم قوله يتالى يحلف والالية
بالشد يد الحلف صحيح وحديث ابي هريرة قال البغوي في شرح السنة وساق باسناده الى عكرمة
ابن عمار قال حدثني سعيد المدني فتاه في شيخ قاياتي فقال لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة
لا يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الجنة قلت ومن انت يرحمك الله قال ابو هريرة فقلت ان هذه كلمة يقولها
احدنا البعض اهله اذا غضب او زوجته او لخادمه قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا
كان في بني اسرائيل فتحابا فكان احدهما مجتهدا في العبادة والآخر كان يقول مذنبا فجعل يقول اقصر عما
انت فيه فيقول خلني وربي فوجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربي
ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة ابدا فقبض ارواحهما فاجتمعا عند
رب العالمين فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اتستطيع ان تحضر على عبدي
نعمتي فقال لا يا رب فقال اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة اوبقت
دنياه وآخرته رواه ابو داود في سننه وهذا لفظه عن ابي هريرة رضي الله عنه يقول كان رجلان في بني اسرائيل

متواخيين فكان احدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فينهاه
فيقول اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا قال والله لا يغفر الله لك ولا
يدخلك الجنة فقبضت ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد اكنت بي عالما او كنت على
ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة وقال للآخر اذهبوا به الى النار الحديث قوله في حديث
ابي هريرة انه الرجل يعني عابدا بشر الفعله في هذا الحديث احدهما مجتهد في العبادة وفي هذه
الاحاديث بيان خطر اللسان وذم تعبد التحرز من الكلام كما في حديث معاذ قلت يا رسول
الله وانا لمواخذون بما نتكلم به قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم
او قال على مناخرهم الا حصايد السنتهم والله اعلم قوله باب لا يستشفع بالله على خلقه
وذكر الحديث وساق ابو داود مما في سننه اثر مما ذكره المصنف رحمه الله ولفظه عن جبير بن محمد بن جبير
ابن مطعم عن ابيه عن جده قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال جهدت الانفس وضاع العيال ونهكت
الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويحك اتدري ما تقول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال ويحك
انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شان الله اعظم من ذلك ويحك اتدري ما الله ان عرشه على سمواته لهكذا
وقال باصبعه قبل القبة عليه وانه ليئط به اطيط الرحل بالراكب قال ابن بشار في حديثه
ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته قال الحافظ الذهبي رواه ابو داود باسناد حسن عنده في الرد
على الجهمية في حديث بشار قوله ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه فانه تعالى
رب كل شيء ومليكه والخير كله بيده لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا كان لله
لبعض من شيء في السموات والارض كان عليه قديرا انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
والخلق وما في ايديهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء وهو الذي يشفع الشافع اليه وهذا الكلام على الاعرابي
قوله وسع الله كرسيه وعظمه لان هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه ويحمل ان شان الله اعظم من ذلك وفي هذا
الحديث اثبات علو الله على خلقه وان عرشه على سمواته وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون
والأئمة خلافا للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن اخذ عنهم كالاشاعرة ونحوهم ممن الحد في اسماء الله وصفاته
وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه من اثبات صفات الله تعالى التي دلت عليها كتاب الله جل وعلا كما عليه
السلف الصالح والائمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة فانهم اثبتوا ما اثبته الله لنفسه واثبته له رسوله من
صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مفتاح
دار السعادة بعد كلام سبق فيها يعرف العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته قال بعد ذكر والثاني ان

يتجاوز هذا الى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له ابواب السماء فيجول في افطارها وملكوتها وبين ملائكتها
ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب الى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله و
مجده ورفعته يرى السموات السبع والارضين السبع بالنسبة اليه كحلقة ملقاة بارض فلاة
ويرى الملائكة حافين من حوله العرش لهم زجل بالتسبيح والتقديس والتكبير والاخر ينزل من
فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها الا ربها وملكها فينتزل الامر باحياء قوم واماتة قوم
آخرين واعزاز قوم واذلال آخرين وانشاء ملك وسلب ملك ونقل نعمة من محل الى محل وقضاء
الى جاد على اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسير واغناء فقير وشفاء مريض وتفريج
كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ودر آبق واعانة
خائف واجارة مستجير ومد لضعيف واغاثة للهوف واعانة لعاجز وانتقام من ظالم وكف
لعدوان فهي مراسم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في اقطار العوالم
لا يشغله شيء منها عن سمع غيره ولا تغلطه كثرة المسائل واللوائح على اختلافها وتباينها واتحادها
وفنائها ولا يتبرم بالحاح الملحين ولا تنقص ذرة من خزائنه لا الله الا هو العزيز الحكيم فحينئذ
يعوم القلب بين يدي الرحمن مطرقا لهيبته خاشعا لعظمته عان لعزته فيسجد بين يدي
الحق المبين سجدة لا يرفع راسه منها الى يوم المزيد فحينئذ سر القلب وهو في وطنه ودار
مخلده وهذا من اعظم آيات الله ومجائب صنعه فالمرء من سفر ما ابتره وارقبه واعظم
ثمرته وزبده واجل منفعته واخص فائدته سفر هو حياة الارواح ومفاتيح السعادة
وغنيمة العقلاء والالباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب انتهى كلامه رحمه الله تعالى واما
الاستشفاع بالرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد به استجلاب دعائه وليس خاصا به صلى الله عليه وسلم
بل كل صالح يرجى اجابته يستجاب فلا باس ان يطلب منه ان يدعو للسائل بالمطالب الخاصة
والعامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لما اراد ان يعتمر من المدينة لا تنسنا يا اخي من صالح دعائك واما
الميت فانما شرع في حقه الدعاء له على جنازته ودفنه وفي غير ذلك وهذا هو الذي شرع في حق الميت
واما دعاؤه فلم يشرع بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه كما قال تعالى والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم فمن دعا احدا من الاموات او الغائبين ممن لا يسمع ولا يستجيب في شيء من الامور التي لا يقدر عليها الا الله
اي بشركه ويعاديه ويفعله يوم القيمة كما في آية الاحقاف واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين فكل ميت او غائب لا يسمع ولا يستجيب لا ينفع ولا يضر والصحابة رضي الله عنهم

لا سيما

لا سيما اهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم ينقل عن احد منهم ولا عن غيرهم انهم ازلوا حاجتهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حتى يحتاج او قاسوه بكما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي خرج بالعباس
عم النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يستسقي لانه حي حاضر يقدر على ما عجز عنه فلو جاز ان يستسقى باحد بعد
وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه في السابقين الاولين بالنبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يظهر الفرق بين الحي و
الميت لان الحي المقصود من الحي دعاؤه اذا كان حاضرا فانهم في الحقيقة انما توجهوا الى الله بطلب دعاء
من عنده ويتضرع اليه وهم كذلك يدعون ربهم فمن تعدى المشروع الى غير شرع ضل واضل ولو كان
دعاء الميت خيرا لكان الصحابة اليه اسبق وعليه احرص وبهم ألين وبحقه اعلم واقوم فمن تمسك بشيء
من تركه واعتمد على عقله هلك والله الموفق قوله باب ما
جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك حمايته صلى الله
عليه وسلم حمى التوحيد عما يشوبه من الاقوال والاعمال التي تضعف معها التوحيد وتنقص وهذا
كثير في السنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم كقوله لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم
انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وتعليم قوله انه لا يستعاذ بي وانما يستعاذ بالله عز وجل
ونحو ذلك ونهيه عن التمادح وشدة القول فيه لقوله لمن مدح انسانا ويلك قطعت عنق صاحبك
والحديث اخرجه ابو داود عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه ان رجلا اثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له قطعت عنق صاحبك ثلاثا وقال اذا لقي احدكم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب اخرجه مسلم
والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن الاسود وفي هذا الحديث ان الواجب ان يقولوا انت سيدنا وقال
الله تبارك وتعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وفيها هم ان يقولوا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا وقال لا يستجرينكم
الشيطان وكذلك قولها في حديث الفرات ان ناسا قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وقال
فقال يا ايها الناس قولوا بقولكم او بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان كره صلى الله عليه وسلم ان
يواجهوه بالمدح فنهى الى القول واخبر صلى الله عليه وسلم ان من اوجب المدح للممدوح بمدحه
ولو عافه جرى عمل الشيطان لما تقتضي محبة المدح اليه من تعاظم الممدوح ونفسه وتزكيتها وفي الحديث
فان العبادة لا تقوم الا بتعظيم ربها الذي لا تنبغي الا له وتزكية النفس غاية الذل غاية المحبة وكمال الذل
يقتضي الخشوع والخشية والاستكانة لله تعالى وان لا يرى نفسه الا في مقام الذل لها والمعاتبة
لها في حق ربه وكذلك الحب لا تحصل غايته الا اذا كان يحب ما يحبه الله ويامر به ما يكرهه الله فالاقوال
والاعمال والارادات والمحبة الممدوح من العبد لنفسه تنافي ما يحبه الله من المدح والممدوح يعرض نفسه
فكيف ان تضمن مقام العبودية يقتضي كراهة المدح راسا وانتهاء عن صيانة هذا المقام
ومتى اخلص العبد الذل لله والمحبة له خلصت اعماله وصحت ومتى دخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب

دخل على مقام العبودية بالنقص او الفساد اذا اداء المدح الى التعاظم في نفسه والاعجاب بها وقع في
امر عظيم بنافي العبودية الخاصة كما في الحديث الكبر رداي والعظمة ازاري فمن نازعني شيئا
منهما عذبته ولا في الحديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وهذه الآفات قد تكون محبة
المدح سببا لها وسلما اليها والعجب باجل الحسنات كما ان كلا النار اخطب واما المادح فهو بفضي
المدح الى اهلاك الممدوح فمن ثم لا يستحق كما بين جد كثيرا في اشعارهم من الفعل الذي نهى عنه الرسول
صلى الله عليه وسلم وحذر امته ان يقع منهم فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا بتسمية الشيء في اكريوبته والالهية
والملك كما تقدم في الاسماء الى شيء من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لما اكمل الله لمقام العبودية ضار يكون
ان يصلح صيانة لهذا المقام واسد الامة الى تركه ذكر نصائحهم وحمايته لمقام التوحيد عن ان يدخله
ما يفسده او يضعفه من الشرك ووسائله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ورغبوا ان فعل
ما امرهم به صلى الله عليه وسلم عن فعله قربة من افضل القربات وحسنة من اعظم الحسنات وما تسمية العبد
بالسيد فاختلف العلماء فيه فقال العلامة ابن القيم رح في بدائع الفوائد اختلف الناس في جواز اطلاق
السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن مالك واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا سيدنا قال
السيد الله وجوزه قوم واحتجوا بقوله النبي صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم وهذا اصح من الحديث الاول
قال هو لا السيد احد ما يضاف اليه فلا يقال للشمس سيد كذا ولا يقال الملك سيد البشر قال وعلى هذا
فلا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم وفي هذا نظر فان السيد اذا اطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك والمولى والرب
لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق فانه لم يثبت قط في صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى قول الله تعالى قل اغير الله
ابغي ربا اي الها وسيدا وقال في قول الله تعالى الصمد انه السيد الذي كمل في انواع جميع انواع السودد
وقال ابو وايل هو السيد الذي انتهى سوددة ولما استند لا لهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا الى
سيدكم فانظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يواجههم سعد به فيكون في هذا المقام تفصيل والله اعلم قوله

باب قول الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا

قبضته يوم القيمة والسموت مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون اي من الاحاديث
والآثار في معنى هذه الآية الكريمة قال العماد بن كثير رح الله تعالى يقول تعالى ما قدروا الله المشركون به حق قدره
حق عبادته وما عظموه حق عظمته وهو العظيم الذي لا اعظم منه القادر على كل شيء والملك لكل شيء وكل شيء تحت
قهره وقدرته قال السدي ما عظموه حق عظمته وقال مجاهد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه
وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس لم يعظموه حق عظمته وقال مجاهد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه
فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت احاديث كثيرة متعلقة بهذه
الآية الطريق فيها وفي امثالها مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف ونكير

حديث

حديث ابن مسعود كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى هذا الباب وقال ورواه البخاري في صحيحه في غير موضع ومسلم والامام احمد
والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن مهران هو الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه
قال جاء حبر من احبار اهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع
والسموت على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع فيقول انا الملك فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه قال وانزل الله وما قدروا الله حق قدره الآية وهذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الاعمش
به وقال الامام احمد حدثنا الحسين بن محمد الاشقر حدثنا ابو كدينة عن عطاء عن ابن الضحى عن ابن عباس
قال ويهودي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم واضع جالسا فقال كيف تقول يا ابا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذه
واشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كلما ذكر شيء اصبعا فانزل الله وما
قدروا الله حق قدره وهكذا رواه الترمذي في التفسير عن ابي الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح
غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد
ابن مسافر عن ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان ابا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه فيقول انا الملك اين ملوك الارض اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم يأخذهن
من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر قال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمي القاسم بن يحيى
عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبض يوم القيمة الارض
الارضين وتكون السماء بيمينه ثم يقول انا الملك تفرد به ايضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه
الامام احمد من طريق آخر بلفظ اوسط من هذا السياق وطولها فقال حدثنا غندر حدثنا حماد بن سلمة
انا اسحق بن عبد الله ابن ابي طلحة عن عبد الله بن مقسم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وهو
على المنبر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى
عما يشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه انا الجبار
انا المتكبر انا الملك انا العزيز انا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به قوله
وسلم عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله عز وجل السموات ثم يأخذهن
بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم يأخذهن
بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون هكذا في رواية مسلم قال الحميدي
وهي اتم وهي عند مسلم من حديث سالم عن ابيه واخرجه البخاري من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال ان الله يقبض يوم القيمة الارضين وتكون السماء بيمينه اخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم قلت
هذه الاحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وعظم قدره تعالى وعظم مخلوقاته وقد توفي سبحانه وتعالى الاجابة

بصفاته وعجائب مخلوقاته وكلها تعرف وتدل على كماله وأنه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته وتدل
على إثبات الصفات لله على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل وهذا هو الذي دل
عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الامة وائمتها ومن تبعهم باحسان واقتفى آثارهم في الاسلام والايمان
وتأمل ما في هذه الاحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ربه بذكر صفات الكمال على
ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما اخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمة الله تعالى
وتأمل ما في هذا من اثبات علو الله تعالى على عرشه ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لربه شيئا من ظاهرها غير
مراد وانما تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه فلو كان هذا حقا لبلغه آمينه الى امته فان الله اكمل
به الدين واتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وتبعهم الى يوم الدين
وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما وصف به ربه من صفات كمال ونعوت جلال فآمنوا
به وأمنوا بكتابه وبما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا كما قال تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عندنا وكذلك الكتابعون لهم باحسان وتابعوهم والأئمة في الحديث والفقه
كلهم وصفوا الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحدوا وانتفاء الصفات ولا أحال
احد منهم ان ظاهرها غير مراد ولا انه يلزم من اثباتها التشبيه بل انكروا وعابوا من قال ذلك غاية الانكار
وصنفوا في هذا الشأن المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بايدي اهل السنة والجماعة
قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وهذا كتاب الله من اوله الى آخره وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الائمة مملوء بما هو نص او ظاهر ان الله تعالى
فوق كل شيء وانه فوق العرش فوق السموات مستو عليها مثل قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي وقوله تعالى بل رفعه الله اليه
وقوله تعالى ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج
اليه وقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله تعالى هو الذي خلقكم في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات وقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على
العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين وقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون
فذكر التوحيد في هذه الآية وقد اخبر الله الذي رفع السموات بغير عمد ثم وزرها ثم استوى على العرش
وقد اخبر ملائكته خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى وقد اخبر انه وفوق كل شيء
لا يمسك السموات ان تقع على الارض الا باذنه وكفى به بذلك سبحانه خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى

على العرش

على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا وقوله تعالى انه الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم
يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة فالتحديد في وقد هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم
اينما كنتم والله بما تعملون بصير فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم احاطته وعموم ربوبيته وقوله تعالى
ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
فستعلمون كيف نذير وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد وقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم وقال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى واني لاظنه كاذبا انتهى كلامه رحمه الله تعالى قلت وقد ذكر الائمة رحمهم الله تعالى
فيما صنفوه في الرد على نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والاشاعرة ونحوهم اقوال الصحابة والتابعين
فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب العلو وغيره بالاسانيد الصحيحة عن ام سلمة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم انه قالت في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول
والاقرار به ايمان والجحود به كفر رواه ابن المنذر والالكائي وغيرهما باسانيد صحاح قال وثبت عن ربيعة
رحمه الله تعالى انه قال لما سأله ربيعة بن عبد الرحمن كيف الاستواء قال الاستواء غير مجهول والكيف غير
معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق وقال عن ام سلمة رضي الله عنها كيف استوى فاطرق مليا ثم
واخذته الرحضاء وقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع
وانت يا صاحب بدع اخرجوه رواه البيهقي باسناد صحيح وبمعناه عن ربيعة ومالك وغيرهما وقال البيهقي
ايضا وقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وان يمان به واجب والسؤال عنه بدعة قال
الذهبي فانظر اليهم كيف اثبتوا الاستواء لله واخبروا انه معلوم لا احتاج لنفي الغير
ونفوا عنه الكيفية قال البخاري في صحيحه قال مجاهد استوى على عرشه وقال استوى بمعنى علا وارتفع
سمعت غير واحد من المفسرين يقول الرحمن على العرش استوى اي ارتفع وقال محمد بن جرير الطبري
في قوله تعالى استوى على العرش الرحمن علا وارتفع وساق هذا عن اقوال الصحابة والتابعين في
امثالهم فمن ذلك قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

شهدت بانه وعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمل ملائكة شدادا ... ملائكة الاله مسومينا

ورواه الدارمي والحاكم والبيهقي باصح اسناد ان علي بن الحسين بن شقيق قال سمعت عبد الله بن المبارك يقول نعرف ربنا بانه فوق سبع سمواته على العرش

استوى بائن من خلقه ولا نعلم كما قالت الجهمية قال الدارمي وحدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا علي بن الحسين
ابن شقيق عن ابن المبارك قيل كيف نعرف ربنا قال بانه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه
وقد تقدم قول الاوزاعي كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى فوق عرشه بائن من خلقه ونؤمن بما
ورد به السنة وقال ابو عمر الطلمنكي في كتاب الاصول اجمع المسلمون على ان الله استوى على عرشه
بذاته وقال في هذا الكتاب ايضا اجمع اهل السنة على ان الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز
ثم ساق باسناده عن مالك قوله الله في السماء وعلمه في كل مكان ثم قال في هذا الكتاب اجمع المسلمون من اهل السنة
الذين يعتد بهم انه تعالى فوق سمواته على عرشه بذاته وهو معكم اينما كنتم وكقوله تعالى ءاانتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا وهذا لفظه في كتابه وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين والائمة المتبوعين ابانه
الله في كتابه على لسان رسوله وعلى الحقيقة لا على ما يليق بجلال الله وعظمته ونفى عنه مشابهة المخلوقين ولم
يكيفوا كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب قال الحافظ الذهبي ولو وقفت على سمعت قائلة
من انكر ان الله تعالى فوق العرش هل الحد بين درهم وكذا انكر جميع الصفات وقال خالد بن عبد الله القسري
وقصته مشهورة فاخذ هذه المقالة عنه الجهمية صغار اتباع الجهمية فاظهر واصبح لها بابا شاذا
وكان قد ذكر في آخر عصر التابعين فانكر مقالته ائمة ذلك العصر مثل الاوزاعي وابن حنيفة ومالك
والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ومن تبعهم من ائمة الهدى
فقال الاوزاعي امام اهل الشام حيال راس الخمسين ومائة عنظيم هذه المقالة اخبرنا عبد الواحد
ابن محمد بن عبد الله المقرئ ببغداد اخبرنا ابو بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرني محمد بن علي الكوفي ببغداد
حدثنا ابراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الاوزاعي يقول كنا والتابعون متوافرون
نقول ان الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته اخرجه البيهقي في الصفات ورواته
ائمة ثقات وقال الامام احمد ان الله تعالى له اسماء وصفات لا يسع احدا ردها وكل من خالف
بعد ثبوت الحجة عليه كفر واما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل وتثبت هذه الصفات وتنفى عنه
التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انتهى من فتح الباري

قوله وعن العباس بن عبد المطلب ساقه المصنف رحمه الله تعالى مختصرا والذي رواه مسند ابي داود
عن العباس بن عبد المطلب كما في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بهم سحابة فنظر
اليها وقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والعنان قالوا والعنان قال ابو داود ولم اتقن العناد جدا قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال
ان بعد ما بينهما اما واحدة او اثنتين او ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك

صح

حتى عد سبع سماوات فوق السابعة بحر بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء عاظهورهم العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى
ثم الله تعالى فوق ذلك وقد اخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وقال الحافظ الذهبي
رواه ابو داود باسناد صحيح وروى الترمذي من حديث ابي هريرة وفيه بعد ما بين سماء الى سماء
خمسمائة عام ولا مناقاة بينهما لان تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير الغافلة فتلا
والف وسبعون فتلا على سير البريد لانه يصح ان يقال بيننا وبين مصر عشرة ايام على سير
سير القافلة ثلاثة ايام باعتبار سير البريد وروى نشريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه
هذا آخر كلامه رحمه الله قلت فيه التصريح بان الله فوق عرشه كما تقدم في الايات المحكمات والاحاديث
الصحيحة وقول السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهذا الحديث شواهده في الصحيحين
وغيرهما والاعتبار بقول من ضعفه لكن شواهده التي يستدل دفعها وصفها ظواهرها وهذا
الحديث كما قال يدل على عظمة الله وكماله وعظم مخلوقاته وانه المتصف بصفات الكمال التي
وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى كمال قدرته وانه هو المعبود
وحده لا شريك له دون ما سواه وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وافق الفراغ من تبييض هذا الشرح الشريف وكتابة المنيف
صبيحة يوم الاربعاء العاشر من عشرين من شهر صفر من
شهور سنة ١٣٤١ قلم الفقير الى رحمة ربه الغني
سعد بن محمد بن حمد بن عتيق غفر الله له
ولوالديه ولاصحابه في الحرمين ولجميع
المسلمين آمين
آمين
آمين
آمين

ان كتب عبيا فسد الكتاب جزاء لا عبيا فيه وكلا